قلوب عبير

آن ميثر

القيد

www.elromancia.com
مرموزية

ق ٢٠

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No.K20

القيد

بينهما شيء يرفض الانتهاء.

بينهما طفل وحياة مشتركة اصداؤها ترفض الخفوت. مارثا تمردت على القيود وآمنت ان لها مطلق الحق في ان تتصرف حسبما تشاء ساعة تشاء. ولن يوقفها شيء يقوله أو يفعله دايون، زوجها الذي اغتربت عنه وها هي تجد نفسها في طريقها اليه، ولكن مكرهة...

كانت تشك فيه وفي الأسباب التي جعلته يريد عودتها اليه. ماذا ينتظرها؟ هل سيدفعه حبه الجنوني للامتلاك الى قهرها من جديد؟ مارثا تمردت على القيود، ولكن قيداً واحداً يشدّها ولا يريد الانكسار...

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س.	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	تونس ١٢٥ ق	Cyprus P 150

١ـ مارثا تخشى رؤية زوجها من جديد. ولكنه قال اذا كانت ترغب في التحدث اليه فعليها ان تأتي الى الجزيرة. جعلها تأتي مكرهة. وها هي في طريقها إليه...

نسيت هذا الهواء بالذات. نسيت رقته وصفاءه، والنور الشفاف الذي يجعل الالوان اكثر اشراقاً. ثم هناك الرائحة... العبير المميز لجنائن الليمون وعرائش العنب الناضجة. لا يوجد مكان آخر يضاهيه تماماً. ومع ان حب مارثا للجزر طغت عليه عواطف اخرى الا انه استحال عليها الآن الا ان تتجاوب مع جمالها.

استيقظت باكراً ذلك الصباح. قالت لنفسها، ان هذا حدث عادي، باعتبار انها أوت الى فراشها قبل العاشرة ليلاً، وتجاهلت كلياً انها لم تنم جيداً. قضت الليل في تذكّر مقلق للحياة التي تخلت عنها منذ خمس سنوات ونيف.

لكنها الآن تواجه الصباح، ومن شرفة الفندق يطالعها بحر ايجه ذو المياه الزرقاء، فيما حدود الشاطىء التركي لا تبعد اكثر من اثني عشر ميلاً. هناك سديم يغلل الافق منذراً بحلول قيظ لكن الدفء اللذيذ بدأ يغزو الهواء الذي يعج بطنين زيزان الحصاد.

اختارت هذا الفندق لقربه من بلدة رودس الصغيرة حيث تستطيع الذهاب اليها بالتاكسي في عشر دقائق، كما انه لا يبعد كثيراً عن طريق الساحل مثل ذلك الفندق الذي نزلت فيه مع سارة قبل ثماني سنوات. انه سيثير فيها ألماً شديداً اذ سيذكرها بالشباب الذي هدرته.

بدأ حوض السباحة في الفندق يجتذب عدداً من النزلاء. راقبت مراهقاً شاحب الجلد يسبح بنشاط في عمق مياهه ونظرت الى شحوب ذراعيها من

خلال قميص نومها المخطط. ان قضاء الشتاء في المناخات الشمالية ازال بقايا السمرة التي اكتسبتها اثناء رحلتها مع سارة في العام الفائت الى جزر سكيللي في المحيط الاطلسي.

حسدت الناس الذاكي البشرة الذين لا يبدون شاحبين، مثل دايون. تجهمت حين وعت ان اسمه قفز آلياً الى ذهنها. لكن اذا اخذت بالاعتبار سبب وجودها هنا، فذلك ليس بمستغرب، قالت لنفسها بحدة وهي تغادر الشرفة كي تستحم وترتدي ثيابها.

مع ذلك، شعرت اثناء تناولها الافطار في قاعة الفندق بتزعزع في ثقتها. لم تكن المرة الاولى التي تمنت فيها لو انها لم تتح لنفسها مجال الاقتناع بالمجيء الى هنا، وداخلها شك بأنها لن تكون المرة الأخيرة. ارادت ان تساعد روجر بالطبع، لكن هذا المطلب المعيّن يفوق طاقتها. يجب ان تكون هناك وسيلة اخرى يستطيع روجر اعتمادها. مع ذلك، ألم تأت لهذا السبب بالذات؟ لأن عائلة ميكونوس سدت على روجر كل الاقتراحات الاخرى التي تقدم بها؟

تنهدت وهي تدهن قرص الخبز بمربى المشمش. لو ان روجر اختار اي مكان آخر عدا جزيرة ميكوس! لكن ابحاثه قادته الى الاعتقاد بان ميكوس قد تكون الجأت اليها المينويين الذين فروا من العاصفة التي اكتسحت جزيرة كريت عندما انفجر بركان جزيرة سانتوريني قبل ثلاثة آلاف سنة تقريباً. مع ان مارثا لم تشأ التورط، الا ان تأكيد روجر العنيد بأنها ترفض مساعدته بسبب خوفها من الاتصال مجدداً بدايون، أذاب معارضتها بالتدريج.

احست بعيني النادل السوداوين تستقران عليها فشعرت برعشة خوف. بوسع الرجال اليونانيين ان يكنوا اشد مشاعر الاحتقار لنساء أوروبا الغربيات. انهم يسددون نظرات الاعجاب ويغدقون عليهن عبارات الاطراء... ولكن في اعماقهم يزدرون حريتهن بالرغم من مغازلاتهم لهن.

اما المرأة اليونانية فيعاملونها بطريقة جد مختلفة، ومع ان مركزها لا يتساوى بأي حال مع مركز زوجها الا انه يمنحها ولاءه ويوليها الاحترام

الذي تستحقه كأم اولاده.

ازاحت مارثا صحنها بنفاد صبر وتناولت ابريق القهوة. تساءلت لماذا تفكر في هذه الأمور التي خرجت الآن من نطاق اهتماماتها. لقد نالت كفايتها من تلك الحياة الخانقة المنعزلة التي تمنح الرجل الحرية ليفعل ما يشاء وتلزم المرأة بتنفيذ الأوامر المعطاة لها. ان كان هذا الارتباط الخانق يعني الاحترام فبوسعها الاستغناء عنه. ان ذلك محزن بالطبع بالنسبة الى جوزي، لكنها ستحظى على الأقل بحرية التصرف بعيداً عن تسلط والدها.

مجدداً، اجتاحها ذلك الشعور بالذنب الذي يرافق باستمرار تحدّيها الصامت. خلال كل هذه السنوات لم تتعلم فنّ الخداع الذاتي. مهما قالت وكيفما دافعت عن نفسها لم تستطع ان تحطم ذلك الشعور بأنها تعمدت حرمان ابنتها من حق بنوّتها الشرعي. كان سهلاً عليها تبيان الحقائق... ان دايون رفض الاستماع اليها، قفز الى استنتاجات رعناء تخلو من اي برهان، وانه جعلها تبتعد عنه بسبب غيرته الجامحة. لكن لا مجال للنكران بانها لم تدحض اعتقاده آنذاك، بل استمتعت في الواقع بغضبه المسعور وشعرت بنوع من الرضاء الشامت عندما خذلته في النهاية.

تلك المشاعر لم تدم طويلاً. ادركت بالطبع، لو انه ذهب يسترضيها في تلك الأيام الأولى لأذعنت له واطلعته على الحقيقة. احبته بالرغم من مساوئه ولم يكن من طبعها ايلام الآخرين. لكنه لم يَسْعَ اليها، وتحولت آمالها غضباً، وغضبها صار امتعاضاً وامتعاضها تحوّل مرارة. لما اتصل بها اخيراً، كانت سارة تعرضت للحادث ففات الوقت كثيراً على الاصغاء الى صوت العقل. لم تكن تبغي منه مطلق شيء، ولم تغفر له ابداً استعداده لادانتها. ثم حين كبرت ابنتها واصبحت بنتاً صغيرة تأسر القلوب، ادركت مارثا ان دايون اذا علم يوماً بأن جوزي ابنته فقد يأخذها منها ويأخذ كل شيء آخر...

تركت المائدة وعبرت القاعة الى المخرج المقنطر المؤدي الى الشرفة. لا يزال امامها وقت للذهاب الى البلدة ولم تشأ ان تنتظر لساعات قدوم ارسطو ميكونوس.

ـ صباح الخير يا آنسة!

كان النادل الذي راقبها سابقاً اعترض طريقها واخذ يرمقها باعجاب واضح. اعترفت مارثا بأنه شاب وسيم، قصير ومتين الجسم كبعض اليونانيين، وعضلات ذراعيه تنفر من خلال قميصه الرقيق.

بدا واضحاً انه معتاد على النجاح في ملاحقته للشابات العازبات اللواتي ينزلن في الفندق. ذكّرها غرور وجهه بتلك المناسبة التي قبلت فيها مع اختها دعوة مماثلة.

قالت له باقتضاب، وصرامة شفتيها تفضح غضبها من نظرته المتفحصة:

ـ صباح الخير. عن اذنك...

اتسعت عيناه تعجباً من استعمالها العفوي للغته وقال:

ـ آه، حضرتك يونانية؟

ردت ببرود:

ـ لا، انا انكليزية. الآن، هل لك ان تبتعد عن طريقي...

ـ حسناً.

بسط يديه بحركة تعبيرية فأحست مارثا انها استرعيا انتباه بعض الندل الآخرين الذين كانوا يراقبونها بنظرات متسلية، فخرجت من قاعة الطعام ملتهبة الوجنتين.

لما خرجت الى الشرفة طغت عليها روح المرح. كان سخفاً منها ان تغضب من مغازلته البسيطة. ما همّ ان يكون يونانياً؟ من المفروض ان تُسر لعلمها بانها لا تزال جذابة الى حد استدعى مغازلتها في الصباح الأول لوجودها. لا موجب لأن تشعر بالاكتئاب من جراء ذلك، لكن المغازلة تزامنت مع الافكار التي كانت تتجاذبها اثناء تناول الافطار. تمشت بقلق على الشرفة وهي تحس تفاقماً في وضعها المتململ.

سوف تسر حين تزف الساعة العاشرة حيث تتمكن من انهاء مقابلتها لوالد دايون. ستكون مواجهة متلفة للاعصاب، والتصميم الذي اظهرته في انكلترا كي تبين لروجر انها لا تخشى مقابلة اي شخص من عائلة ميكونوس، بدأ يتضاءل بسرعة. ليس لأنها خائفة بل لانها تكره ان تطلب

منهم اية خدمة، هكذا طمأنت نفسها.

فجأة، قررت التوجه فوراً الى البلدة حيث يمكنها التجول في السوق لبعض الوقت. انها بحاجة الى زيت لاكتساب السمرة.

عادت الى غرفتها لتتأكد من ان تنورتها البسيطة وقميصها القطني صالحان للخروج. استعرضت شكلها في المرآة وتساءلت عما اذا كان حماها السابق سيلحظ الظلال تحت عينيها. تمنت لأول مرة لو انها ليست نحيلة الى هذا الحد، لكن الاعتناء بطفلة في الخامسة ويفتاة مقعدة والاضطلاع بعمل كامل الدوام لهو عبء يعجز عن كسو عظامها باللحم. منذ انفصالها عن دايون لم تجد الوقت الكافي كي تفكر في مظهرها. شعرها الحريري الكث، العسلي اللون وحده بقي على حاله مانحاً اياها حق الزهو به. ان عقصه في جديلة واحدة يوفر عليها المال المطلوب لزيارة المزين وقد اعتادت على غسله بنفسها وتركه يجف طبيعياً. اما شعر جوزي الذي استحال على دايون ان يتقبل لونه، فأصبح الآن داكناً مثل شعره، مع ان مارثا تعترف بأن ابنتها تشبهها من نواحٍ كثيرة.

فيما كان التاكسي يمضي بها على الطريق الساحلية، سرها ان شعرها كان معقوصاً لأن الهواء من شأنه ان يبعثر اية تسريحة، الا ان الخصلات القليلة التي تناثرت على جبينها الشاحب اضفت مسحة ملطفة على صرامة تقاسيمها القلقة.

سألها السائق عبر كتفه:

ـ الى ماندراكي؟

استجمعت شتات ذهنها واجابت توافقه ببسمة خفيفة:

ـ نعم، شكراً.

ارتفع حاجباه في اعجاب صامت، وابتسامتها هذه محت الظلال من عينيها الرماديتين الواسعتين واضفت اغراء لاواعياً على تقاسيمها.

كانت رودس مليئة بالسياح في بداية الفصل الاكثر نشاطاً من سائر فصول السنة. طرقاتها الضيقة تعج بالناس، مقاهي الارصفة تغص بالزبائن، وفي وهدة المرفأ تتحلق المجموعات المعتادة من اليونانيين الكهول حول طاولات الساحة، يحتسون القهوة الحلوة المكثفة ويناقشون اخبار

اليوم السياسية.

دفعت مارثا اجرة السائق وغادرت السيارة. عبرت الطريق الى حيث تتجمع المراكب الشراعية في انتظار نقل السياح الى جزيرة كالكي الصغيرة او الى جزيرة ليندوس الواقعة على شاطىء رودوس الشرقي. تذكرت زيارتها لجزيرة ليندوس وكيف سقطت هي وسارة من شدة الضحك بعدما ارتقتا التل على ظهر حمارين.

كان المرفأ، خلف المراسي، يطل على الغزال الحديدي، شعار رودس، القائم على رؤوس اعمدة المرفأ. من السهل ان يتصور المرء نفسه يعود الى عصر سحيق من دون ان يكون هناك شيء يذكره بالقرن العشرين. الشيء الوحيد الذي حطم هذا الوهم كان مركب يمخر البحر عند الافق، وهنا سارت مارثا الى جدار البحر كي تحتمي من لفح الهواء.

لما اقتربت الساعة العاشرة، عادت مارثا ادراجها وهي تحاول ان تتجاهل الرهبة في داخلها. أمضت نصف الساعة الأخيرة تفكر في جوزي وتتساءل عما تفعله الآن في مدرسة الحضانة، وكيف تواجه سارة المسؤوليات في غيابها. اما الآن فاضطرت الى التفكير في اسباب وجودها هنا وبدت هذه الاسباب واهية. سيكون صعباً عليها ان تفسر امتنانها لروجر من دون ان يصوّر والد دايون علاقتهما على غير حقيقتها. كيف تتوقع منه التفهم، بانه لولا صداقة روجر لما استطاعت واختها أن تدفعا ايجار الشقة التي تسكنانها؟ وبأن سارة تعتمد على روجر؟ كلا، لا يمكنها ان تطلعه على حادث سارة لشدة ما سيحدثه لها ذلك من ألم، اضافة الى عزوفها الشديد عن استدرار العطف.

لقد كتبت الى ارسطو عمداً، لأن الجزيرة جزء من املاكه، ولهذا السبب لم يسمح لروجر ولكل علماء الآثار الآخرين بالتنقيب فيها. هذا لا يعني ان ارسطو يقضي معظم وقته في جزيرة ميكوس، فمؤسساته التي تتعاطى صناعة السفن، تقتضي منه ومن ابنائه الثلاثة الكبار القيام بأسفار متواصلة في انحاء العالم، وعندما لا يزور مكاتب ميكونوس في نيويورك او لندن او طوكيو، يعيش في فيللته في اثينا التي لا تبعد كثيراً عن مكاتب الشركة هناك.

ان ثراء آل ميكونوس العريض والمعقد، كان دائماً يثير استغراب مارثا. انها تحب المال بالطبع وتحب ان تصرفه لكن الدور الكبير الذي تلعبه الثروة في حياتهم، يحيرها باستمرار. لم تكن احتياجاتها كثيرة او مسرفة... طعام، ثياب وسيارة... حتى ذلك كان ترفاً بالنسبة اليها، ولطالما تندّر دايون بقناعتها المادية هذه وأطربه احساسها بالحرج عندما قدم لها قلادة ثمينة من دار تيفاني في نيويورك. كان يجد صعوبة في تفهم افتقارها الواضح الى الطموح، وكبريائها التي حالت دون رغبته في عرضها كجزء من ممتلكاته، وتمسكها باستقلاليتها الذي أدى بهما الى الانفصال.

اعترفت مارثا الآن بانها فعلت حسناً لكونها لم تتكيف بسرعة مع جوّهم الرفيع المستوى وحياتهم المتخمة بالترف. ان وضعاً كذاك، كان من شأنه ان يكون اشد صعوبة بالنسبة الى فتاة أقل منها عناداً تتزوج من أجل المال لا من أجل الحب، كما فعلت هي. دايون لم يصدق هذه الحقيقة أبداً، وهي ادركت هذا منذ زمن بعيد. لا بد انه ارتاب طيلة الوقت في مشاعرها تجاهه وفي لهفتها الى الزواج منه. كان في عمق اعماقه، يحتضن غيرة وظنوناً فاستنتجت في النهاية انه كان يخلط الحب مع رغبته الانانية في الامتلاك. انفجرت مشاعره ليلة ولدت جوزي، جوزي الحلوة البريئة، ورأسها مجلل بذلك الشعر الأسمر النحاسي الذي حوّل كل ظنون دايون الى ارتياب.

اجابها ارسطو ميكونوس برسالة مختصرة. قال انه يرفض مناقشة الموضوع عبر البريد، اذا كانت ترغب في التحدث اليه فعليها ان تأتي الى الجزر. هكذا، جعلها تأتي مكرهة.

اخذت تحاور نفسها: ما الذي يمكن ان يحدث لها في رودس؟ سوف تلتقي حماها وتطلعه على طموحات روجر وفضله عليها وتأمل ان يكون كريم التجاوب. انه حتماً ليس بالمطلب الكبير، فروجر ومساعده لن يحدثا اي اضطراب في مجرى حياتهم وسيحقق انتصاراً للجامعة اذا ما تمكن من تقديم أدلّة جديدة على مصير الناجين من تلك الكارثة التاريخية.

كان السوق المقابل للمرفأ ملتقى لأهل البلدة وللسياح معاً. نظرت مارثا عبر زقاق فرأت اكشاكاً مثقلة بالبرتقال والدراق والبطيخ والشمام، كما شاهدت دكاكين لعب وثياب، ومصنوعات جلدية وفخاريات، واخرى

تبيع الدمى الرائعة ذات اللباس الفولكلوري المزخرف. هل تبتاع دمية لجوزي؟ لكنها احتارت في امرها خشية ان تؤدي هذه الهدية الى طرح اسئلة لم يحن أوان الاجابة عليها. حتى الآن، تقبلت جوزي حقيقة كونها من دون أب، بقدر بسيط من الفضول، لكنها طفلة ذكية ولا يغيب ابداً عن بال مارثا انها ستطالبها، ان عاجلاً ام آجلاً، بتفسيرات اكثر اقناعاً. اعترفت مارثا بأنها لا تدري في اعماقها ان كانت تملك الحق في تزوير بنوة الطفلة. لكن كلما فكرت في ان تمنح دايون حق الأبوة كان يتملكها احساس بالذعر.

التفتت الى ساعتها فاذا بها تجاوزت العاشرة. أحست باضطراب يجيش في صدرها. تلفتت حولها بقلق لظنها بأنها اخطأت فهم التعليمات التي اعطيت لها.

- مارثا!

نبرة الصوت الرجولية أفقدت قلبها احدى خفقاته. استدارت تواجه الرجل الذي خاطبها فشعرت بارتخاء يوهن ركبتيها. الصوت شبيه بصوت دايون، لكنها احست بارتياح شديد لأن الرجل لم يكن زوجها بل صورة طبق الأصل عنه، انما اصغر سناً منه وأكثر امتلاء. هتفت وصوتها يفضح اضطرابها:

- أليكس!

تلفتت حولها بقلق وتابعت:

- اليكس، ماذا تفعل هنا؟

تأملها شقيق زوجها الاصغر دونما ابتسام. بدا اكبر سناً مما كان عليه حين رأته آخر مرة، وبالرغم من ادراكها بأن مرور خمس سنوات كفيل بإحداث بعض التغييرات الا ان تحوّل اليكس من مراهق مرح الى شاب جدي المظهر، فاجأها الى حد بعيد. لقد اختفى بنطلون الجينز وحلت محله بدلة رسمية فاتحة وقميص حريرية وربطة عنق. شعرت بسخف ثيابها القطنية وتمنت لو انها ارتدت شيئاً اكثر رسمية.

- مارثا.

عاد يقول متأملاً إياها، لكنه لم يتقدم كي يصافحها، واردف:

- اذا تفضلت بمرافقتي...

اشار الى سيارة فارهة تنتظر على الناحية فرمقته مارثا بفضول ثم قالت بارتياب:

- والدك؟ هل ينتظر في السيارة؟

بسط اليكس يديه بتهذيب واجاب:

- تعالي. ساشرح لك الأمر.

ترددت ثم قالت بعناد وخداها يتوردان قليلاً لاحساسها بانه لم يعد حليفها كما كان سابقاً:

- قال والدك انه سيلتقيني هنا. اليكس، ما الذي يجري؟ اين والدك؟ الا يمكنك ان تخبرني ذلك على الاقل؟

قال متنهداً:

- والدي ليس هنا يا مارثا. طلب مني ان آخذك اليه. هذا كل شيء. الآن، هل لك ان تأتي؟

سألته بالحاح:

- اين هو؟

- في ميكوس. بالطبع.

- ميكوس! أليكس، لا استطيع الذهاب الى ميكوس.

- الا تريدين رؤيته؟

- بالطبع اريد ذلك. لقد اتفقت معه على ان نلتقي في رود س لا في ميكوس. انا... اقصد، لم نتفق على ان ازور الجزيرة.

هز كتفيه وقال مقطباً:

- اذن، ترفضين المجيء؟

- اليكس. الوصول الى ميكوس يستغرق خمس ساعات على الأقل.

- ليس جواً.

هتفت منذهلة:

- ألديك طائرة؟

- لدي هليكوبتر.

- كلا! اقصد اني... أفضل الا التقي والدك في الفيللا.

اعقب كلامها صمت شعرت خلاله بأن الناس كانوا يتحركون حولها من دون ان يعوا الاضطراب الحاد الذي تكابده. سألها اليكس اخيراً:

ـ أهذه كلمتك الأخيرة؟ ان دايونيسوس سافر الى امستردام... منذ يومين.

اطلقت مارثا نفساً كانت تحبسه من دون ان تدري. اذن، لن تلتقي زوجها. خشيت رؤيته من جديد.

بدأ اليكس يفقد صبره ويتعمد النظر الى السيارة وهي لم تصل بعد الى قرار. ثم سألته:

ـ كم من الوقت سيمكث والدك في الفيلا؟

تساءلت عن ضرورة مخابرته بالتلفون لكن اليكس لم يساعدها حين قال:

ـ ستتزوج شقيقتي منيرفا خلال ثلاثة أيام ولذا سيعود والدي الى اثينا غداً لحضور الزفاف.

للحظة، تحولت افكار مارثا الى اتجاه آخر وهي تسأل:

ـ منيرفا؟ منيرفا الصغيرة ستتزوج؟

بدا لها الأمر مستحيلاً، وصرح اليكس بفتور:

ـ لقد بلغت الثامنة عشرة. ان الزواج في بلادنا هو المطمح الطبيعي لجميع الفتيات.

ـ اوه!

تقبلت مقولته بتنهيدة أسى. بدأ يتضح لها اكثر فاكثر انه يتعاطف مع اخيه. لا ريب انه يعتبر تركها لشقيقه جريمة لا تغتفر. بسط يديه وقال:

ـ الآن... ماذا ستفعلين؟

ما الذي يمكنها فعله؟ تعرقت يداها وعلّقت حقيبتها على كتفها قائلة:

ـ سآتي معك.

اتجه اليكس بسرعة الى السيارة وفتح لها الباب الخلفي.

كان في السيارة سائق، ولما صعد اليكس الى جانبها واقفلت النوافذ أُدير جهاز التبريد. ارتاحت مارثا لتخلصها من حرارة الشمس ثم تذكرت انها نسيت ابتياع الزيت الواقي لجلدها. في اي حال، لن تجد اليوم وقتاً

للاستحمام الشمسي، واذا سارت الأمور كما يجب ستعود غداً الى موطنها.

الرحلة الى المطار تستغرق نصف ساعة ولم تستطع مارثا ان تجلس صامتة طيلة الوقت، قررت ان تحاول كسر جمود اليكس غير الطبيعي. كانا في الماضي صديقين مقربين فلم تقدر بالتالي ان تصدق ادانته الكلية لها. استدارت اليه وسألته عما اذا كان هو الآخر يعمل مع والده هذه الأيام، ثم علقت بقولها:

ـ اعتقدت انك ستصبح استاذاً محاضراً بعد كل ذلك الادب الكلاسيكي الذي كنا نطالعه معاً. اتذكر دروسك لي عن الشاعرين والمسرحيين اسخيلوس وسوفوكليس؟ وكيف كنا نمثل تلك المسرحيات على الشاطىء...

فقاطعها قائلاً باقتضاب:

ـ كلنا نتغير. اننا نكبر ونصبح اكثر حكمة.

كتمت الجواب الآلي الذي قفز الى شفتيها وقالت عوضاً عنه:

ـ اذن، تخليت عن آرائك في الفلسفة؟ وقررت ان معطيات العالم المادي تفوق معطيات العالم الأسطوري؟

اجابها وهو يتململ على مقعده:

ـ لا اعتقد ان نوعية آرائي تهمك يا مارثا. كنت صبياً عندما رحلتِ واليوم صرت رجلاً. هذا كل ما في الأمر.

ـ فهمت. بكلمات اخرى، لا يجب ان اتدخل في ما لا يعنيني. أليس كذلك؟

اجابها محركاً كتفيه بسلبية:

ـ لم تهتمي بمعرفة اخبارنا منذ خمس سنوات. اذن لا يعقل ان تتوقعي مني ان اصدق الآن اهتمامك.

تلقت مارثا تقريعه بوخزة ندم وقالت بجرأة:

ـ قد لا تصدق هذا، انما كانت لي مشاكلي الخاصة أيضاً. بالنسبة الى علاقتنا... كنت آنذاك تستعد لدخول الجامعة. لم تكن هناك وسيلة لمكاتبتك من دون... من دون ان يعرف اخوك أو أبوك بأمر المراسلة. وبحكم الظروف وجدت ان الفكرة لن تكون صائبة، الا توافقني؟

بدا واضحاً انه يفكر في كلامها لكن ولاءه لأخيه ولعائلته كان يتصارع مع منطقية تفسيرها.

اخيراً، نظر اليها جانبياً وقال:

ـ لم يكن الامر سهلاً بالنسبة الى اي منا. علينا جميعاً ان نحكم على الاحداث من وجهة نظرنا الخاصة.

فسألته بهدوء:

ـ وماذا كان حكمك؟

هز رأسه وقال:

ـ ليس لي ان أقول شيئاً، لكني ادرك التأثير الذي احدثه رحيلك على أخي. وهذا ما لا استطيع غفرانه.

تحملت مارثا هذه الضربة بمناعة أقل. كانت تعتقد ان اليكس، باستثناء الآخرين، قد يكون حَكَم على القضية بذهن منفتح، انما يبدو انه كان منحازاً كسائر افراد العائلة. الآن ما عادت تتطلع بأمل الى اجتماعها بوالده.

كانت الهليكوبتر في انتظارهم فصرف اليكس السائق ثم ساعد مارثا على صعود الطائرة.

تعرفت فوراً على القبطان الذي كان يساعد طاقم اليخت الذي يرسيه ارسطو في بيرايوس، مرفأ اثينا. بدا غريباً لمارثا ان تُخاطَب مرة اخرى بالسيدة ميكونوس. ان دايون لم يتقدم ابداً بدعوى طلاق، فافترضت انه اختار الانتظار كي يتحاشى الضجة الاعلامية التي ستنجم عن ذلك.

انها، لأول مرة، تطير في هليكوبتر، لذا انتابها شعور غريب لدى الاقلاع جعلها تتمنى لو انها استعملا المركب البحري. مع ذلك، وحالما بدأوا يرتفعون، نسيت مخاوفها، وسرعان ما اتضحت لها محاسن الهليكوبتر في رحلة كهذه، فالطيران الخفيض مكنها من تمييز معالم الجزر التي مروا فوقها، وفي غمرة انفعالها نسيت تكلف اليكس السابق وسألته بصوت عال طغى على هدير المحركات:

ـ أليس هذا رائعاً؟ اقصد انك تستطيع بالفعل ان ترى مدى ضحالة البحر في بعض الأماكن. اوه، انظر، أليس ذلك دلفيناً؟ ذلك الشيء

الأسود في الماء؟

علق اليكس بجفاف وقد عجز عن اخفاء تمتعه باستنتاجها الساذج:

ـ اغلب الظن انه مركب صيد. نحن لسنا منخفضين الى هذا الحد. من الصعب ان نرى دلفيناً من هذا العلو.

ـ آه.

تكدر محياها تواً، وللحظة، شاركها اليكس خيبتها. اشاح عنها بسرعة لكن ليس قبل ان تشعر بارتفاع بسيط في معنوياتها. كانت متأكدة من قدرتها على تغيير رأي اليكس فيها اذا ما اعطته وقتاً، وسرها ان تعلم بأنه لا يزال يحتفظ بروح مرحة.

بدت تحتهم مراكب صغيرة ذات اشرعة ناصعة البياض وسط زرقة المياه. ذكرتها هذه المراكب بالسفينة الشراعية التي كان دايون يبحر بها، ونهايات الاسبوع التي كانا يجوبان فيها البحر.

استدارت الى سلفها تسأله:

ـ ألم تتزوج بعد يا اليكس؟

هز رأسه واجابها بالنفي بصوت كاد ان يغرقه هدير المحرك فحزرت مارثا انه كان يلوم نفسه على شروده المؤقت.

بدأوا يهبطون واصبحوا فوق المعالم الصخرية لارض غير محروثة حيث يجري خيط رملي ضيّق. كانت هناك منطقة خلفية مشجرة ترتفع الى قمة قاحلة، ثم تنحدر بضحالة اكبر في اتجاه خليج محمي ومرفأ صغير. اما القرية فكانت تحضن الخليج، واكواخها الباهتة الالوان تقوم وسط حدائق زاهية من الخبيزة والدفلى. استطاعت مارثا ان ترى الطاحونة الهوائية التي كانت تروي المنحدرات في السابق حيث عرائش العنب تنمو بوفرة. بدا كل ذلك حقيقياً ومألوفاً بالرغم من غيابها الطويل. تساءلت للمرة الثانية كيف يمكنها ان تبرر حرمان جوزي من كل هذا.

كانت فيلا ميكونوس ذات تصميم يوناني نموذجي. طبقات فخمة وسط حدائق ونوافير، وأحواض زنبق كثيف التفتح.

من مدرج الهبوط القريب من المرفأ انتقل اليكس ومارثا بسيارة صعدت بهما الدرب المتعرج الى الفيلا. السائق كان واحداً من العاملين في البيت

وقد تعرف بسرعة على كنة مخدومه. تذكرت مارثا ان اسمه سبيرو أو سبيروس، لم تتأكد بالضبط، فكم كان هناك من الاسماء ومن المستخدمين. كانت عائلة بكل معنى الكلمة، عائلة محبوكة الاواصر، منصهرة مع بعضها البعض بتأثير ارسطو ميكونوس حيث الجميع يدخلون دائرة سلطته الخانقة. وفكرت مارثا، ربما، لو انها ودايون عاشا في بيت مستقل لاختلفت الامور. ثم سرعان ما سحقت الفكرة، فارسطو لم يكن المسؤول عن تملك دايون وغيرته، ورغبته في أسر زوجته ضمن شبكة عائلته، وتحطيم علاقاتها الخاصة مع اهلها...

تقلصت اعصابها آلياً عندما عبرت السيارة مدخل الفيللا الخارجي ذا الاعمدة الحجرية. هنا لا توجد تحصينات حديدية كما الحال في اثينا. لا حراس ولا اقفال ضد السرقة لابعاد المتطفلين، لأن المدخل الرئيسي للجزيرة كان عبر المرفأ، لكن من باب الوقاية، اخضع ارسطو الشواطىء لحراسة مستمرة.

اخيراً، اصبحوا امام الواجهة البيضاء وعادت مارثا تشاهد المدخل المهيب لمنزل دايون في الجزيرة. تذكرت مشاهدتها الاولى له حيث انسحرت وانذهلت من السبب الذي يدعو رجلاً مثل دايون ميكونوس لاتخاذها زوجة له.

توقفت السيارة وفتح اليكس بابه بقوة ليخرج. ترجل السائق وفتح باب مارثا فشعرت بارتباك وهي تهبط وتدوس على الساحة الامامية المرصوفة بالحصى.

كان الطقس أقل حرارة والنسيم اللطيف يجلب ارتياحاً ممتعاً من قيظ النهار. الا ان الرائحة كانت واحدة، ذلك العبير الخاص ببيارات الحمضيات الذي يمتزج هنا بنكهة البحر الملحية. خطر لها ان تكون هيلين هنا، شقيقة دايون الكبرى، مع ابنيها، انما لم تكن هناك أصوات تتردد من حوض السباحة كما لو ان هناك اطفالاً يسبحون.

قال اليكس الذي وقف الى جانبها:

- والدي في غرفة المكتبة.

نظرت اليه بلهفة وسألت:

- ألا يوجد هنا احد سواه؟

- أنسيت؟ اخبرتك ان اختي ستتزوج يوم الجمعة. العائلة كلها مجتمعة في اثينا بمناسبة الزفاف.

- اوه، نعم... حسناً، هل لنا ان ننهي الموضوع؟

رفع اليكس حاجبيه الداكنين لكنه لم يعلق بل قادها تحت الاعمدة المرمرية الى داخل الردهة الفسيحة.

مكتبة ارسطو تبعد قليلاً عن الردهة ويصل اليها المرء عبر أروقة تمنحه لمحات مثيرة للبحر من خلال الفتحات الحجرية. كان بحر ايجه يمتد تحتهم وزرقته أعمق من زرقة السماء.

اصطكت ركبتاها عندما وقفا امام باب المكتبة المكسو بالجلد، وفي فورة ذعر قررت ان تصرف النظر عن اي دافع آخر قد يكون حثها على المجيء. سوف تتحدث الى والد دايون بشأن روجر فقط! اذا رفض، تكون قد بذلت اقصى جهدها ولن يقدر احد ان يفعل اكثر. اما بالنسبة الى مشاعرها تجاه جوزي فليس وقتها الآن. متى عادت الى انكلترا ستكون اكثر قدرة على درس الامور بقدر أقل من الانفعالية، اما الآن فلا ترغب الا في الاستدارة والهرب، وهذه ليست حالة ذهنية صالحة للتوصل الى قرار منطقي.

قرع اليكس الباب ثم رمقها بنظرة لا تخلو من المناشدة، كأنه ندم للحظة على قطيعتها بقدر ما ندمت هي، ويدافع تلقائي ضغطت باصابعها على ذراعه المتقلصة وقالت بفورة صغيرة من الحنين:

- آسفة. لقد افتقدتك يا اليكس... صدقني!

فتح شفتيه ليرد بشيء، لكن الباب انفتح فجأة، وفي تلك اللحظة تجمدا في موقفهما الجديد. اعتقلهما الزمن وكأنهما حبيبان يخططان لموعد. ثم ادارت مارثا رأسها، وسقطت يدها بعيداً واتسعت عيناها في ذهول مجلد عندما حدقت الى الرجل المواجه لهما. لم يكن ارسطو ميكونوس. ارسطو يشبه اليكس اكثر، انه اقصر وجسمه اكثر امتلاء وشعره اغزر شيباً... كما ان هذا الرجل اصغر سناً من ان يكون والداً لاربعة ابناء ناضجين ولابنتين، الا انه، مثل اليكس، قد عانى بدوره من مرور السنوات. عيناه

تبدوان اغمق واعمق وخداه اكثر تجويفاً وقامته اشد نحولاً. هذا الرجل كان دايونيسوس ميكونوس، زوجها. ومع ذلك ليس زوجها، بل الرجل الذي ليست لديها أقل رغبة في لقائه.

٢ ـ أدركت ان هذا اللقاء كان شركاً نصبه لها. لكنها لم تكن لتصدق ابداً انه يستطيع إغراقها في هذه اللجّة. عادت الجاذبية القديمة تجرفها والأحاسيس الملتهبة استيقظت. . .

حاولت ان تستعيد رباطة جأشها. فكرت بمرارة انها اخطأت تفسير نظرة اليكس، لمحت في وجهه عطفاً لا تفهماً. زعم أن دايون في استردام. . . أهذا ما قاله بالضبط؟ كل ما ذكره بالفعل، ان دايون سافر الى هناك منذ يومين.

قال زوجها بصوت بارد مثل التأنيب في عينيه:

ـ هلاّ دخلت يا مارثا؟ اليكس، ستتكلم في ما بعد.

قبل ان يبتعد اليكس رمقها بنظرة اخرى لكنها لم تلاحظها في غمرة تركيزها على المقابلة المنتظرة. شدت قامتها عالياً ومرت بزوجها غاضبة. ولجت الغرفة ثم توقفت فجأة لدى مرأى حميها الجالس خلف مكتبه الفخم. توقعت بشكل ما ان يكون دايون بمفرده. تعثرت خطوتها حين سمعت زوجها يغلق الباب الثقيل.

نهض ارسطو بتثاقل. رأته يعرج وهو يدور حول المكتب ليحييها. هو الآخر كبر في السن. رمقته بحذر الا انها لم تر في عينيه سوى الترحيب المهذب. تابع يقول:

ـ يسرني انك وافقت على الحضور. لم أعد شاباً كما ترين. اني اترك معظم المهمات المتعبة لابنائي هذه الأيام.

ـ آسفة.

جوابها كان مقتضباً على الرغم منها، فكيفما نظرت الى الأمر وجدت نفسها مخدوعة. ولم يرقها ذلك.

www.elromancia.com

اشار ارسطو الى مقعد جلدي يجاور مكتبه وقال:

ـ ارجوك... تفضلي بالجلوس. ادرك شعورك بأننا خدعناك.. انما كان من غير المعقول ان تتوقعي مني الا اطلع دايون على أمر رسالتك.

تنفست مارثا بعمق. انها في موقف غير مؤات بالمرة، فأمامها هذا الرجل العجوز الذي يبدو جلياً انه تجاوز الستين، وخلفها، تحس بتحديق زوجها الحاقد يخترق ظهرها. ماذا يفعل دايون هنا؟ ولماذا تشعر بأنهم عادوا يتلاعبون بها؟

اختارت كلماتها باعتناء حين قالت:

ـ اخبرت اليكس اني لم اشأ المجيء الى هنا. كان بوسعنا ان نستعمل البريد لنقول ما لدينا من كلام...

ـ حقاً؟

كانت النبرة الشرسة التي قاطعتها غريبة تماماً عن نبرات اليكس الى حد جعلها تتساءل كيف استطاعت ان تخلط بين الأخوين ولو لبرهة وجيزة؟ تمسكت بحقيبة يدها كخشبة خلاص، وتقدم دايون من عند الباب لينضم الى والده. وقف تجاه المكتب منفرج القدمين عاقداً ذراعيه على صدره. كان، بدوره، يرتدي ثياباً رسمية.

واجهته مارثا وتمنت لو انه بقي عند الباب. خلال سنوات انفصالهما نجحت الى حد كبير في محو صورته من ذهنها. لكن ها هو الآن امامها، يمزق غلالات النسيان ويكشف النقاب عن آمالها العقيمة.

ادركت اضطرارها الى اجابته فقالت:

ـ كتبت الى والدك لأنه يملك هذه الجزيرة. املت ان يتفهم موقفي. ان روجر... اقصد السيد سكوت... صديق طيّب لنا...

استوضحها دايون بصوت بارد:

ـ أتعنين لك ولابنتك؟

ـ اجل، لي ولجوزي. لأختي ايضاً.

ـ آه، اختك. لا يجب ان ننساها، أليس كذلك؟

تنفست بارتجاف وناشدت ارسطو بقولها:

ـ هل ستجيبني بالرفض؟ اهذا ما توشك ان تقوله؟ ان كان الأمر

كذلك...

ـ هل لك ان تجلسي؟

اشار ارسطو ثانية الى المقعد، ومع انها لم ترغب البتة في تعزيز موقف زوجها الا انها ادركت ان الوقوف انهك حماها وانه لن يجلس الا اذا فعلت ذلك. امتثلت لطلبه مترددة فسارع بلهفة الى الاستراحة على مقعده الخاص. قال وهو يبسط كفيه على المكتب:

ـ الآن! لنكن صادقين مع بعضنا. أتوافقين؟

هتف دايون:

ـ أبي!

قال والده متجاهلاً اعتراضه الحانق:

ـ كلا يا دايونيسوس. يجب ان نقول ذلك فوراً. ليس عدلاً ان نحجب اسباب هذه المقابلة عن زوجتك. ان كنت تريد، حسبما تقول، ان تتحرر من هذا الزواج فمن حق مارثا ان تفهم ذلك من البداية.

لدى سماعها كلمات حميها أحست بالدم يغيض من وجنتيها. صحيح ان رؤية زوجها صدمتها لكنها لم تكن مستحيلة التوقع، اما احتمال ان يفكر دايون في الطلاق فهذا ما لم يخطر لها على بال! لم تتوقع ان يفكر في الطلاق لسنوات عديدة، اضافة الى ان الفكرة لم تكن مقبولة لديها بتاتاً.. ماذا سيحل بجوزي؟ ارادت ان تصرخ. لكنها لم تفعل.

تأملها ارسطو بتهذيب هادىء وقال:

ـ اذن، فهمت الآن سبب وجود دايونيسوس. عندما كتبت الي بشأن التنقيب عن الآثار، انتهزنا الفرصة. هذه الأمور من الأفضل ان تقال وجهاً لوجه. اعلم ان دايون يفكر في الطلاق منذ بعض الوقت، ومراسلتك سهلت أمورنا جميعاً.

أحست بجفاف رهيب في فمها فقالت بصعوبة شديدة:

ـ فهمت... ماذا عن أبحاث روجر؟

ـ يا الهي!

هتف دايون بغضب في حين ادركت مارثا ان كلماتها بدت، بلا شك، غاية في البلاهة. لكنها عجزت عن قول اي شيء آخر في تلك اللحظة.

حتى غضبه لم يقدر ان يزيل شعور الغربة الذي استحوذ عليها.

قال له ارسطو بصوت منضبط:

ـ اهدأ يا بني. هل لك ان تستدعي اندروس؟ اعتقد ان جميعنا بحاجة الى شراب.

سار دايون وفتح الباب بعنف فحاولت مارثا ان تضبط عواطفها. لم يكن ذلك سهلاً امام نظرات حميها الثاقبة. يا الله! كم اخطأت في تصورها حين ظنت ان دايون حضر الاجتماع كي يفرض عليها بعض المطالب!

سمعت صلصلة اكواب على صينية فاستدارت لترى دايون يعود الى الغرفة بصحبة خادم. وضع الرجل الصينية على المكتب ثم انحنى بتهذيب قبل ان يخرج. اقترب دايون من الطاولة وسألها بخشونة واضحة عما تود شربه.

كان هناك ليموناضة فالتقطت كوباً في حين اختار الرجلان شراباً آخر. رأت زوجها يجرع كأسه بنهم قبل ان يملأه من جديد. لم تشأ ان تعود الى مقعدها القريب من صينية الشراب وقررت الجلوس على مقعد النافذة حيث ساعد الهواء المنعش في تخفيف حدة الوهن الذي غزا حواسها. هذه المقابلة تنتقل من سيء الى اسوأ، وهي لا تثق كثيراً بقدرتها على مواجهتها.

عاد ارسطو يقول:

ـ اقترح بادىء ذي بدء ان ننتهي من قضية... السيد سكوت... اهذا اسمه؟

اومأ حين وافقته مارثا على صحة تعريفه وتابع:

ـ تعلمين حق العلم اني لا اسمح لأي مؤرخ بأن يزور ميكوس.

وهنا استوضحها زوجها باتهام بارد:

ـ لكنك لم تأتي بهذا الخصوص، اليس كذلك يا مارثا؟

ادركت بانصدام ان عبارته تخفي اشياء اخرى لم تفهمها بعد. قالت:

ـ اخشى، اخشى اني...

قاطعها دايون بحدة:

ـ اوه، ارجوك، لا تحاولي خداعنا بأكاذيبك! انك لم تكتبي الى والدي لأنك شعرت برغبة... برغبة انسانية في مساعدة الرجل الذي

تتكلمين عنه.

ـ اذن لماذا كتبت؟

نطقت السؤال الذي عجزت عن كبحه، وللمرة الثانية حاول ارسطو ان يرطب الموقف فقال لابنه وفي عينيه تحذير عجزت مارثا عن فهمه:

ـ دايونيسوس، لتتمهل قليلاً في الاستنتاج ولندع مارثا تطلعنا على دوافعها. بعد ذلك نبحث الموضوع.

هبت واقفة وهتفت:

ـ لقد اطلعتكما عليها. أي سبب آخر يمكن ان يكون هناك؟

قال دايون بازدراء:

ـ ربما لم يخطر لك، وقد كبرت الطفلة، ان باستطاعتك اقامة دعوى للاحتفاظ بها؟

هلعت مارثا ورددت:

ـ الاحتفاظ بها؟ كلا! بالطبع لم افكر في ذلك.

عاد والده يخاطبه محذراً لكنه تجاهله وقال في برود:

ـ من واجبي ان اخبرك باني قمت بزيارة لانكلترا حيث رأيت الظروف التي تعيشين فيها. لا استغرب انك اقتنعت اخيراً بأن الاستقلالية لم تمنحك كل الأشياء التي حسبت انها ستمنحك اياها.

دايون زار انكلترا واطلع على ظروفها المعيشية؟ ما معنى ذلك؟ هل رأى جوزي؟ هل علم بوضع ساره؟ كلماته التالية أوضحت لها الصورة:

ـ لم تتقدمي بدعوى للحصول على الطلاق. وهذا الرجل، كائناً من كان، لم يبذل مجهوداً ليتزوجك وليمنح ابوته للطفلة. لا بد انك تسعين بكل قواك لاعطائها اسماً شرعياً.

ـ انت مخطىء اشد الخطأ! انا... ان كنت تظن ان روجر هو. هو والد جوزي، فأنت مجنون!

اغضبته وقاحتها فتقدم منها خطوة ثم توقف كأنه يراعي حضور ابيه. ثم استوضحها قائلاً:

ـ اذن من هو أبوها؟ اخبريني ذلك. اخبريني ايضاً لماذا تجرأت على الكتابة الى والدي وطلبت اذناً تعلمين انه لن يُعطى لك!

ضاقت انفاسها الا انها استطاعت ان تقول معترفة:

- بعد ان تركتك، عشت فترة مع سارة، لكن شقتها كانت صغيرة جداً، مجرد غرفة للنوم. صاحبة المسكن لم يرقها ان اعلق حفاضات الطفلة في الحمام. ثم..

توقفت اذ لم تكن مستعدة لاطلاعه على حادث سارة، وكيف ان الشقة اصبحت عديمة الفائدة بالنسبة الى فتاة مقعدة لأنه سيشمت بأخبار كهذه. تابعت بكلمات أقل اقناعاً:

- كنا بحاجة الى مكان آخر، حيث استطيع ان اجر عربة طفل، فقدم لنا روجر الطبقة السفلية في منزله.

استوضحها دايون وهو يرمقها بنظرة ضيقة:

- ما الذي حمله على ذلك؟

- الا تؤمن بكرم الأخلاق؟

- انك تطلبين الكثير!

ردت برأس شامخ:

- هذا واضح! حسناً! ان كان هذا كل ما لدينا من كلام...

القى دايون نظرة مكتئبة في اتجاه والده وقال:

- كلا. لا تزال هناك اشياء يجب ان نقولها لبعضنا البعض.

فجأة، نهض والده وازاح مقعده ثم دار حول المكتب. همت مارثا بمرافقته الى الباب لكنه اشار اليها بالتراجع قائلاً:

- سنتناولين معنا طعام الغداء قبل رحيلك. لا بد انك جائعة.

قالت وهي تنظر الى زوجها بحرج:

- لا، ارجوك. اعني... اظن انه من الخير لي ان اغادر فوراً.

- نسيت اننا لم نبحث بعد موضوع الطلاق.

قالها دايون بخواء فأحنى والده رأسه محيياً وغادر الغرفة.

بعد خروجه شعرت مارثا بثقل توترها المتزايد. انها بالكاد تحملت وجود دايون في حضرة ابيه. اما الانفراد معه فأمر مرعب. ليس لانه يخيفها بالضبط، بل لأنها تخشى سلطته عليها، تلك السلطة السوداء التي تجذب وتقزز في آن، والتي اوشكت ان تدفعها الى حافة الجنون خلال الاسابيع

الأولى التي اعقبت رحيلها عنه.

اخذت مارثا ترشف شرابها بعصبية وعيناها تقفزان بقلق في انحاء الغرفة، فتوجه دايون بتثاقل الى النافذة وراح يحدق الى البحر دونما اكتراث. حسبته مارثا يحضر في ذهنه وسيلة اخرى لاذلالها، وانذهلت حين سألها فجأة:

- لم فعلت ذلك يا مارثا؟ لم هجرتني؟ هل طلبت منك ان ترحلي؟ هل هددتك بالطلاق؟ ان كان هذا الرجل يهمك الى هذا الحد فلماذا لم تخبريني قبل ولادة الطفلة؟

وضعت كوبها باحتراس على حافة المكتب ثم تسلحت بما تبقى لديها من رباطة جأش وقالت:

- تعرف لماذا تركتك يا دايون. لم يكن بوسعك ان تتوقع مني البقاء معك بعد الأشياء التي قلتها لي. قد لا املك ثراء عائلة ميكونوس لكنني املك بعض الكبرياء. لا احد...

تهدج صوتها انفعالاً وتابعت:

- لا احد على الاطلاق، وبخاصة زوجي، يستطيع ان يعاملني كما فعلت وينفذ سالماً من العقاب!

استدار اليها هاتفاً بغضب:

- حسناً، ماذا تسمين تصرفك ذاك؟ كيف توقعت مني ان اتصرف؟ هل كان علي ان اقول... بالطبع، انا اتفهم هذه الأمور! من الطبيعي ان تحتاج زوجتي الانكليزية المتحررة الى اعجاب رجال آخرين؟ كلا!

- هذا حوار عقيم! اين عقلانيتك؟ انك ترفض الاصغاء.

قست ملامحه وقاطعها حانقاً:

- لكن الى ماذا يجب ان اصغي؟ الى مزيد من الكذب والمناورات؟ تجرأت على المجيء الى هنا لتتوسلي الينا بأن نساعد هذا الرجل، وانت تدركين بانك تسببين بذلك الألم والحرج لي ولعائلتي ومع ذلك تظنين اني عديم التعقل!

تنهدت وقالت بتعب:

- ان روجر سكوت صديق للعائلة، مجرد صديق لنا.

ترك النافذة ووقف قبالتها متأملاً ببرود وقفتها الصامدة:

- صديق العائلة هذا، أهو والد طفلتك؟

- كلا.

نفت ذلك آلياً لكنها ادركت فوراً افضلية الصمت.

- اذن، من هو؟ رجل لندني اعرفه؟ شخص عرفتك اختك اليه، ربما؟ انها عارضت زواجك مني، اليس كذلك؟ عارضته لأنه كان ينافي مخططاتها. سيطيب لها ان تؤذيني من خلالك، الست مصيباً في ذلك؟

- هذا كلام قبيح! كما انه ينافي الحقيقة. سارة ليست كذلك. انها تحبني وتسهر على مصالحي... ارادت لي السعادة لكنها لم تكن المسؤولة عن عدم تكافؤنا.

قال مكفهر الوجه:

- بل كنا متكافئين! على الأقل، قبل ان تتدخل اختك.

ارتعدت مارثا غضباً وقالت تستفزه:

- بوسعك دائماً ان تجد تبريرات لتقصيرك، اليس كذلك يا دايون؟

اطبقت يداه على ذراعيها وفحّ بشراسة:

- احترسي في كلامك معي يا مارثا. انت لا تزالين زوجتي. هناك حرمة للزواج في بلادي تفوق حرمته عندكم!

- هل تهددني يا دايون؟

شدت قامتها بشجاعة لكن ضغط اصابعه آلمها بشدة.

كانت، في وقت مضى، تزهو بطبيعته العاطفية الحارة، اما الآن فهي تعي اشياء اخرى كثيرة، الوحشية على وجهه، الغضب في صوته، قدرته الفائقة على تحطيمها ساعة يشاء. كما تعي بألم انه الرجل الوحيد الذي يجعلها تدور في دوامة كاملة من العواطف المتناقضة.

شاهد في وجهها رهبة وتوقعاً لنوع العقاب الذي قد ينزله بها، فتأوه على الرغم منه. وبالرغم من الهوة العميقة بينهما، لم يسعه الآن ان يصفعها. حدق فيها بنظرة مقيدة، فانطلقت من شفتيها شهقة ارتياح. قال من بين اسنانه:

- انت تستأهلين القتل! قلت لي انك تودين التمهل في انجاب طفل،

اننا نحتاج الى وقت نمضيه بمفردنا قبل ان تضطلعي بمسؤولية الأمومة. وافقتك آنذاك! اسعدني ان احتفظ بك لنفسي...

همست وخداها يتوردان:

- دايون، ارجوك.

قال بقسوة:

- الحقيقة هي انك خنتني مع رجل آخر وسمحت له بأن يمنحك الطفل الذي حرمتني منه. ان احتقاري عقاب بسيط لفعلتك تلك!

- لا جدوى من هذا النقاش...

- احقاً؟ ما الداعي الى مبالاتك اذا ما استمتعت بتعذيب نفسي على هذا النحو؟

حاولت الافلات منه عبثاً ثم هتفت بيأس:

- انك لا تعذب نفسك يا دايون بل تعذبني! انك تؤلمني! هل لك ان تطلق ذراعي؟

- ولم افعل؟

بدلاً من ذلك، جذبها اليه بعنف وهو يقول:

- انتظرت هذه اللحظة منذ وصول رسالتك. اردت ان اؤذيك، ان اذلك، ان اشاهد خيبتك لدى افتضاح مآربك الدنيئة. كما اردت ان ارى ما فعلته السنوات بك لاعرف ان كنت قاسيت مثلما قاسيت انا بسببك!

حدقت فيه بعجز. وعت انه جعلها، على الرغم منها، تتحسس وجوده كزوج لها في ما مضى، وكان قادراً على اثارتها بنظرة بسيطة يتبادلانها. لم تشأ ان تتذكر هذه الأشياء او ان تعترف بتلك الجاذبية الغريزية بينهما. لم يكن حباً، من جانبه على الأقل، لكن ذلك الانجذاب لم يمنع التأثير المهلك الذي احدثه في حواسها.

حدق في عينيها وغمغم بصوت اجش:

- الطفلة؟ هل تشبهك؟ هل اخذت عنك لونك، ونحولك وارادتك الصلبة؟

- نعم، تشبهني. انها طويلة بالنسبة الى سنها ونحيلة. كما انها تمتلك عزيمة قوية خاصة بها.

اوماً دايون والتوى فمه بتعبير ندم. خبا العداء في عينيه وحلت مكانه مرارة معذبة. قال معترفاً:

ـ حدست بان ابنتك ستكون مثلك، على القدر نفسه من الارادة والاستقلالية والجمال...

اختنق النفس في حلق مارثا. ان عاطفته العنيفة جعلته ينطق هذه العبارة. لم تتعجب كثيراً عندما طغى عليه احساسها المشترك فقربها منه مطلقاً آهة عبرت عن احتقار ذاتي. لم تقدر الآن ان تتحاشى لمسه.

تعلقت بخيط واه من الانضباط وتمنت لو انها استعدت كفاية لمجابهة التأثير الذي سيحدثه فيها. لكنها لم تكن لتصدق ابداً انه يستطيع اغراقها في هذه اللجة. عادت الجاذبية القديمة تجرفها وتغرقها في احاسيس ملتهبة.

ـ مارثا، من هو والد طفلتك؟ الا يحق لي ان اعرف؟

طغت عليها عاطفية الموقف ففضحت نفسها كلياً حين همست بصوت أبح:

ـ انت هو!

تراجع بفجائية اذهلتها واعجزتها عن النطق. حدقت الى محياه المتقلص من دون ان تفهم الدافع الى ثورته المنذرة بالشؤم:

ـ يا الهي! يا الهي! قولي ان الحقيقة غير ذلك!

رمشت عيناها ورفعت يدها الى رأسها. ما اصعب ان تعاود التفكير في امور عادية... المهم انه خدعها مرة اخرى، بشكل ما. انه خطط لكل هذا كي يكتشف الحقيقة وراء حملها لجوزي. كان فعلاً بارداً غاشماً لكنه يعبر عما آلت اليه طباعه. شعرت بالتلوث والاذلال الكامل!

كلمها ثانية لكنها رفضت ان تجيبه. اشاحت عنه والتقطت حقيبة يدها من على الأرض.

اغضبه تجاهلها فانتزع الحقيبة من يديها ثم قذف بها ارضاً.

ـ مارثا، اريد منك جواباً!

تراجعت بعيداً والذهول يخرسها. لقد احتال عليها كي يكشف سرها. تدافعت افكارها تركض هنا وهناك بحثاً عن مهرب. هل صدقها؟ كيف لا يصدق وقد اعترفت في لحظة عاطفية محضة؟ اقسمت، في ما مضى، ان لا

تطلعه على السر الا اذا اختارت ان تخبره بنفسها. الآن استله منها احتيالاً، وفي ظرف مذل لم تعرف له مثيلاً.

انفتح باب الغرفة وظهر ارسطو على العتبة. استوعب المشهد بعينيه الثاقبتين... وجه ابنه المكفهر، لوعة مارثا الشاحبة، الحقيبة المطروحة على الأرض. لكنه قال بتعقل اوجدته سنوات الدبلوماسية المهنية:

ـ اصبح الغداء جاهزاً.

ثم خاطب الشابة المتمسكة بظهر المقعد:

ـ مارثا، اذا تفضلت بمرافقتي...

ارادت ان ترفض الدعوة. لم تشأ ان تأخذ شيئاً من آل ميكونوس. لكن قبولها سيشكل هروباً من دايون، من شر حضوره الخانق. هزت كتفيها مستسلمة واتجهت صوب الباب.

امتد الرواق امامها من دون نهاية. قدم لها ارسطو ذراعه، كأنه استشف حيرتها، وقال:

ـ تعالي، سيلحق بنا دايون. سوف نسير معاً وبوسعك ان تحدثيني عن حياتك في انكلترا وعن اختك التي تحبينها كثيراً.

كانت طريقة مهذبة لكسب اذعانها. شبكت ذراعها في ذراعه وسارا متمهلين على الرواق المقنطر. اثناء وجود هيلين واولادها، كانت الردهات ترن بضحكات الصغار المنفعلة، اما اليوم فهي هادئة بعد عنف دايون الثائر.

اراحها الخروج الى الهواء الطلق، تحت المظلة الشجرية الواقية من حر الشمس. كان عبير السنط يمتزج بعطر العرائش المزهرة ذات الاغصان المتدلية حول حوض السباحة. الطاولة المستديرة الزجاجية السطح كانت ملأى باطباق اللحم والسلطة، البيض المتبل بالصعتر، البندورة المحشوة، واطباق يونانية اخرى طالما لذت لمارثا.

ـ اجلسي، من فضلك.

دعاها ارسطو بتهذيب فجلست على الكرسي بامتنان. شكرته مبتسمة وادفأتها نظرته بعد ان عانت من نظرات دايون الباردة.

جلس قبالتها ثم سكب العصير في كوبين فيما قدم لها اندروس اطباق

الطعام لتختار منها. اكتفت بشريحة لحم مع قليل من السلطة اليونانية المؤلفة من شرائح البندورة والخيار والزيت الخفيف. لم تكن جائعة لكنها شعرت بدوار وأملت ان يعيد لها الطعام توازنها.

ظهر دايون فيما كانت ترشف عصير البرتقال. تسمرت في مكانها وشعرت كأرنب ينجذب مغناطيسياً الى افعى. تجمدت اطرافها واتخذت موقف عجز وابتهال.

علق ابوه ببعض الخشونة:

ـ دايونيسوس! بدأنا نتساءل ان كنت تنوي الانضمام الينا. لقد سبقناك الى الطعام، كما ترى. اترغب في كوب شراب؟

ارسل دايون نظرة سريعة الى رأس زوجته المنحني ثم سار الى جدار منخفض يفصل الباحة عن شرفات الجناتن المنحدرة تحتهم. قال متجاهلاً دعوة والده:

ـ أين اليكس؟ اريد التحدث اليه.

تمددت اعصاب مارثا وهي تصغي الى شرح ارسطو بأن اليكس ينتظر اتصالاً هاتفياً مع اثينا. قال الكهل مكملاً شرحه بتكاسل:

ـ هناك بعض الصعوبة في الاتصال. اريد تلك الحسابات من ستافروس كي تراجعها هذا المساء.

همهم دايون موافقته بحماسة أقل. اصغت اليه مارثا في انتظار ان يخبر والده ما سمعه منها، الا انه لم يتكلم. ثم ترك مكانه وجلس الى الطاولة. قربه منها حسسها بوجوده لكنه لم يكن قريباً جداً ليخيفها.

صرف ارسطو الخادم بحركة من يده وناول ابنه كأس الشراب قائلاً:

ـ حسناً. اخبرني الآن بقرارك.

نظرت مارثا الى صحنها وتشاغلت بتحريك طعامها، لكن دايون لم يجبه فوراً. انحنى عبر الطاولة وملأ فمه بالخبز وسأل بصوت مكتوم:

ـ اي قرار تعني؟

خفض ارسطو حاجبيه الشائبين، مظهراً شيئاً من حدة الطباع التي يتحكم فيها عادة، وقال بخشونة:

ـ تعلم الموضوع الذي اعنيه يا بني. اي ترتيبات اجريت بشأنه؟ هل

شرحت لمارثا بأن التسوية المادية ستكون وفيرة، بالرغم من الظروف الموجبة، شرط الا تعارض الدعوى؟

استرخى دايون على مقعده وقال اخيراً وهو يتأمل كأسه بتفكير متعمد:

ـ اظن انني بحاجة الى وقت اطول لأدرس الموضوع. لا شك انك تفهم ذلك يا ابي.

سأله والده بنبرة متوعدة:

ـ اتقصد ان مارثا رفضت ان تمنحك الطلاق؟

ذهلت مارثا من تطور الأمور فسارعت الى النفي بصوت متوتر:

ـ اننا لم نبحث ... الطلاق. تحدثنا عن ...

قاطعها دايون قبل ان تورط نفسها:

ـ تحدثنا عن اشياء عديدة حتى ادركنا ان تحطيم الزواج يتطلب اكثر من بضع كلمات تكتب على صفحة ورق!

هب والده واقفاً وقال مرتجفاً بكبرياء:

ـ دايونيسوس! ما هذه الحماقة؟ اية سلطة لهذه المرأة عليك؟ ما كدت تجلس معها ربع ساعة حتى رجعت عن قرار اتخذته منذ اسابيع بل اشهر! انته من الموضوع! لا تدعها تسحرك من جديد. اتخذ القرار! حرر نفسك من الاغلال التي قيدتك خمسة اعوام طويلة.

ارتجفت مارثا وهو يتكلم. لقد ادركت سابقاً انه ما تحملها الا من اجل ابنه. كما عرفت بمعارضة والديه المبدئية لزواجهما. الا ان حبهما بدا قوياً آنذاك وجديراً بأية ضغوط قد تفرض عليه. كان ذلك قبل ان تعلم بالمتطلبات التي تفرضها مؤسسة ميكونوس على موظفيها الكبار، قبل ان تجد نفسها وحيدة لأيام، لأسابيع طويلة... دايون في جانب من العالم وهي في الجانب الآخر. بالطبع، حتى ذلك كان بوسعها ان تتحمله لو كانت حرة في تصرفاتها. لكنها لم تكن حرة. توقعوا منها ان تمتثل للتقاليد كسائر زوجات العائلة، لكن نزعة العناد والاستقلالية طغت عليها وتسببت اخيراً في سقوطها...

عادت الى الحاضر. وجدت دايون واقفاً، ومع انه كان يحاور والده باليونانية الا انها استطاعت فهم معظم الحديث. سمعت زوجها يصرح

بوجوم:

- انك تتخطى نفسك يا بابا. انا اهتم باموري الخاصة وخير لك ان تتذكر ذلك. انت لست مستشاري ولا حارسي. انت والدي وبالتالي يتوجب علي احترامك. ادرك ان آراءك قد تختلف عن آرائي، لكن لا تدعنا نخطىء الظن بان اصغائي اليك يعني اني افكر مثلك. لم اعد صغيراً، انا رجل. اني احترم النصيحة لكني اتخذ قراراتي بنفسي، هل تفهم؟

تعمقت الخطوط في وجه ارسطو وازدادت تجهماً. واجه ابنه مشدود القامة لكنه بقي اقصر منه. اشفقت عليه مارثا بالرغم من حالتها الصعبة المتوترة. ادركت بحسرة ان زوجها تغير الى حد فاق تصورها. في الماضي، لم يكن ليعارض والده او يجادله او يمنعه من ابداء آرائه. هذا الرجل اقسى عوداً، ابعد نظراً، اشرس تصرفاً. كل شيء فيه يحدد مصيره ومصير مؤسسة ميكونوس. قد يكون والده لا يزال يدير الأعمال اسمياً الا ان دايون ورث كل شيء باستثناء ذلك الأسم.

قال ارسطو باسطاً كفيه على الطاولة:

- اذن، أليس لزوجتك... اليس لمارثا خيار في القضية؟

استدار الى كتته وبسط يديه متابعاً:

- ايمكنني القول اني لا استطيع التصديق بانها ترغب في تأجيل الطلاق؟

لم يلتفت دايون الى زوجته واعلن بنبرة فظة:

- انا ومارثا، لدينا الوقت الوفير لنبحث الموضوع. اني اعتزم الاتيان باغراضها من الفندق في رودس...

هبت مارثا واقفة لتواجهه وقاطعته بتحد:

- كلا! ليس لدينا ما نناقشه يا دايون. لقد تقرر وضعنا منذ خمس سنوات! جئت الى هنا لأكلم والدك وانتهيت من ذلك. هذا كل شيء. سأغادر حالما تستعد الهليكوبتر لارجاعي.

رد دايون من دون اكتراث:

- حسناً، ان كنت مصرة على ذلك. لكن علينا ان نتحدث يا مارثا، شئت ذلك او ابيت.

حدق في عينيها وتابع:

- اما هنا او في الفندق، لا فرق لدي. لكن تذكري، انك جئت الى هنا بمحض ارادتك. انصحك بأن تفكري في مثلكم الانكليزي حول الحمقى والملائكة قبل ان تقولي المزيد.

www.elromancia.com

٣ - لم تتعرض طيلة حياتها الحادثة مرهقة كهذه. وتساءلت برهبة عما سيفعله دايون. من المؤكد انه لن يستسلم بسهولة. . .

قالت مارثا مرتجفة الشفتين:

- اظن انك تحاول اخافتي يا دايون.

- نعم.

هز كتفيه وادخل يده في جيبه الداخلي. حسبت، للحظة رهيبة، انه سيصوب اليها مسدسه. في الماضي، كان يحمل واحداً عندما تقتضي الظروف ان يحمي نفسه. جف حلقها وتعرقت يداها، الا انه اخرج علبة سيغار فقط. فتحها وتناول منها سيغاراً رفيعاً وضعه بين اسنانه وقال بهدوء:

- ستتزوج شقيقتي يوم الجمعة. يجب ان اعود ووالدي الى اثينا لحضور الزفاف. لكني سأعود الى هنا مساء السبت، حيث نواصل نقاشنا هذا. الأمر يعود اليك، اما ان تختاري دفع نفقات الفندق او ان تستعملي الفيللا في غيابي. في كلتا الحالين ستتابع الحديث يوم السبت.

- لكني لا استطيع البقاء حتى يوم السبت! يجب ان اعود. هناك عملي. . . واشياء اخرى تحتاج الى رعايتي.

استوضحها بوجوم:

- اتعنين الطفلة؟

- اجل، وامور اخرى.

- الا تقدر اختك. . . الا تقدر سارة ان تنوب عنك؟

اجابت بعد تردد:

- لا. لا تستطيع.

- لم لا؟ هل الاعتناء بطفلة واحدة صعب الى هذا الحد؟

قالت متنهدة:

- لدي اسبابي الخاصة.

- اذن هكذا.

زفر دايون متبرماً ثم اخرج ولاعة اشعل بها السيغار. التفت الى والده قائلاً:

- يبدو اني سأضطر الى تقديم اعتذاري لاندرياس ومنيرفا.

- كلا!

احتجت مارثا غريزياً قبل ان يعترض ارسطو الذي حدق الى ابنه بذهول. ثم اعلن:

- انك لا تعني حتماً ان تحرم اختك من سعادة رفقتك في اروع ايام حياتها! انها لن تغفر لك ابداً. انت تدرك مدى اعتمادها عليك. . . الشقيق المفضل لديها!

شعرت مارثا بتعب حاد يسيطر عليها. هذه الأحداث المتتابعة لا قبل لها باحتمالها. والآن يمارس لعبة الاسرار مثل قط يعذب فأرة. ماذا يعتزم بالضبط ان يفعل؟ كيف يمكنها ان تتدخل في قضاياهما العائلية؟ رأت ارسطو ينظر اليها كأنها الشخص الوحيد الذي يقدر ان يغير رأي دايون.

تحاشت نظرة حميها المؤنبة واجابت باصرار مزعزع:

- يجب ان اعود. آسفة، لكن رجوعي ضروري.

فكر دايون قليلاً وهو يسحب نفساً عميقاً. بدا انه توصل الى قرار حين اعلن بحزم:

- حسناً. ستعودين غداً الى لندن عن طريق الجو. نعم، ثم تعودين الى هنا يوم السبت، برفقة الطفلة.

حدق ارسطو الى ابنه كأنه فقد عقله على حين غرة. لكن مارثا ادركت باهتزاز داخلي، انها تصرفت بطريقة اتاحت له الانتصار عليها. تملكها الذعر وسبب لها غثياناً مخيفاً. تساءلت بيأس عما تنص عليه قوانين الابوة في اليونان، وهل اذا جاءت بجوزي الى هنا سيسمح لها بأن تأخذها ثانية الى

وطنها. قالت متلعثمة:

- لا ... لا اقدر ان افعل ذلك.

استوضحها دايون باصرار وتحد اخافها:

- لم لا؟ قلت، انت نفسك، ان اختك لا تستطيع الاعتناء بالطفلة. انا اقدم لك حلاً. هذا كل شيء.

- لا ... لا يسعني، في اي حال، ان ادفع...

كانت تتعلق بتبرير النفقات مثل تعلق غريق بورقة عشب، لكن دايون، حلّال كل المشاكل، اجابها بسهولة:

- ستؤمّن لكما بطاقات السفر. اما الآن، ان كنت مستعدة للذهاب، سأعيدك بنفسي بالهليكوبتر.

تطلعت الى ارسطو تناشده العون، الا انه عجز عن مساعدتها... او بالاحرى لم يشأ ان يفعل. رأت دايون يتحرك باتجاه البيت كي يستدعي السيارة فادركت ان لا مناص لها من استعمال سارة كحجة اخرى. قالت بسرعة:

- لا استطيع العودة الى رودس، لأن سارة تحتاجني.

تغير تعبير دايون لما ذكرت اسم اختها. انه لم يمل الى سارة ابداً، وانصافاً للحقيقة فان سارة لم تشجعه على التودد اليها. في البداية كانت مارثا تتضايق من موقف اختها لكن عندما اخذت علاقتها بدايون تتفكك بدأت تدرك ان سارة على صواب.

كانت وسارة متقاربتين كثيراً قبل زواجها. فابواها تأخرا كثيراً في الانجاب. بعد موت والدهما، قبل اثني عشر عاماً، عجزت امهما عن الاستمرار في تحمل المسؤوليات. بالتالي، حين كانت مارثا في السادسة عشرة وسارة في عامها الثامن عشر، توفيت امهما وازداد اعتمادهما على بعضهما البعض اكثر من اي وقت مضى.

عندما انهت مارثا تدربها في الاعمال المكتبية وتوظفت عند احد الاطباء، لم تجدا صعوبة في ادارة البيت الصغير في ومبلدون حيث عاشتا طيلة حياتهما. ثم كانت تلك الرحلة الى رودس التي غيرت كل شيء....

الآن، اخرج دايون السيغار من فمه وقال ببرود:

- فهمت. كان يجب ان احدس بأن اختك ستدخل الصورة بشكل ما. حسناً. لماذا تحتاجك؟ لأنها تخشى ان تتورطي مجدداً مع هذه العائلة؟

- دايون!

قاطعه صوت اليكس، فاستدارت مارثا لترى سلفها يلوح من الباب المفتوح قائلاً:

- دايون، جورجيوس على الخط. انه يطلب التحدث معك شخصياً.

راقبته برهبة حين قذف السيغار على الأرض وسحقه بنعله. عبر الباحة بعصبية واختفى داخل البيت.

هم اليكس باللحاق به الا ان صوت والده اوقفه مكانه:

- مارثا ستغادر الفيللا.

مد يديه صوبها بحركة مهتزة كذبت ثبات صوته. سألها بلهفة:

- انت تودين الرحيل، اليس كذلك؟

اومأت من دون كلام فقال لابنه:

- حسناً! عليك ان توصلها الى الهليكوبتر يا اليكساندر.

- لكن، حقيبتي...

احست بدوار احدثه انقلاب الوضع المفاجيء. بدا ارسطو نافد الصبر ثم اشار الى اليكس طالباً منه الاتيان باغراضها من غرفة المكتبة.

كانت السيارة تنتظر حيث تركتها. ساعدها الرجل العجوز على الجلوس فيها براحة ثم تلفت حوله متزعجاً من الانتظار. استشفت مارثا توتره الشديد، وادركت انه يتوجب عليها اغتنام فرصة الهرب لكنها خشيت ان يسبب هربها غضب دايون.

استدار اليها ارسطو قائلاً بكبرياء:

- سيجد دايونيسوس الوقت ليغير موقفه.

ثم تنهد بارتياح عندما ظهر اليكس وقال لها:

- شرفتنا يا مارثا. امضي في رعاية الله.

الرحلة الى مدرج الهليكوبتر اتلفت اعصابها، اذ توقعت في اية لحظة ان تسمع سيارة مسرعة خلفها او تسمع نداء دراماتيكياً بواسطة جهاز الارسال المزدوج المودع في خزانة الراديو الأمامية. لكن توقعاتها خابت.

اقلعت الهليكوبتر وحين دارت فوق الجزيرة بدت الفيللا ساكنة تماماً.

لم يصطحبها اليكس الى الفندق. ودعها في المطار فشكرته على ايصالها بالسلامة. صافحها لدى الوداع وأكد لها بلطف:

- سنلتقي ثانية.

تساءلت لماذا بدا واثقاً الى ذلك الحد، لكنها عزفت عن استيضاحه السبب. كم هو مريح ان تعود الى ارض محايدة. صعدت الى السيارة التي كانت تنتظرها محاولة اخفاء ارتياحها.

لكن رد الفعل ادركها عندما رجعت الى الفندق. صعدت الى غرفتها وانطرحت على السرير بأعصاب محطمة. لم تتعرض، طيلة حياتها، لحادثة مرهقة كهذه، وتساءلت برهبة عما سيفعله دايون. من المؤكد انه لن يستسلم بسهولة. ابوه ارادها ان تغادر لاسباب خاصة في نفسه لكنه لم يطلع على الحقيقة التي اعترفت بها لدايون.

ركزت على تلك الحادثة بالذات وحاولت ان تستعرض تفاصيلها بتجرد. لم يكن الأمر سهلاً، فعواطفها ما تزال مجروحة وحساسة تجاه الذل الذي كابدته. لقد ازدرت دايون من قبل واحست الآن بانها تكرهه، وتكره نفسها ايضاً بسبب الطريقة المقززة التي فضحت بها سرها.

كيف استطاعت ان تتصرف على ذلك النحو؟ كيف انخدعت بذلك الاسترحام وبتلك الاثارة المتعمدة لتأجيج عواطفها التي اوصلتها الى الاعتراف؟

لم تستطع التفكير الا في غبائها وتصرفها الطفولي وسذاجتها. كم يبدو المستقبل مشوشاً في هذه اللحظة!

بالرغم من تحسباتها القلقة، لم يتصل بها دايون قبل عودتها الى لندن. لم تدر، هل سرها ذلك ام احزنها؟ ليس غريباً عن طباعه ان يعرضها لهذا الترقب الحائر.

انه شهر حزيران/ يونيو، موسم الاجازات في انكلترا. كان مطار هيثرو كخلية النحل عندما وصلته في عصر اليوم التالي. حملت حقيبتها الى محطة السكة الحديدية ومنها الى وسط لندن بواسطة القطار ثم استقلت قطاراً آخر الى ومبلدون. قطعت المسافة بين المحطة وشارع ميريديث سيراً على

القدمين، ولدى وصولها الى البيت احست بتوتر. ساءها ان ترى جوزي تلعب من دون رقابة في حديقة البيت الأمامية وكان فستانها وصندلها ملوثين بالماء الموحل.

- ماما!

هتفت الصغيرة غير شاعرة باضطراب امها. القت نفسها بين ذراعيها بكل ما تملك من عفوية الحب. هتفت وهي تحضن امها بشدة:

- لقد عدت! افتقدتك كثيراً.

- وانا افتقدتك يا حبيبتي.

خاطبتها بلطف لانها لم تشأ ان توبخها فور وصولها:

- اين خالتك سارة؟ اين السيدة بينيت ؟ تعلمين انه لا يجوز لك ان تلعبي خارج البيت بمفردك.

- اعلم ذلك، لكني ضجرت من اللعب في غرفة النوم، وكان الطقس رائعاً في الخارج.

- لماذا لم تلعبي في غرفة الجلوس؟ اين السيدة بينيت؟ اعتقد ان خالتك سارة تستريح في غرفتها، اليس كذلك؟

- نعم.

صعدت جوزي مع امها على الدرب ودخلتا الى البيت الفيكتوري العالي الذي ورثه روجر عن ابويه. تابعت جوزي قائلة:

- السيدة بينيت ذهبت الى بيتها، وانا...

قاطعتها امها بذهول:

- ذهبت الى بيتها؟

ما كان يجب ان تذهب في هذا الموعد المبكر. لقد اتفقتا على ان تأخذ جوزي الى مدرسة الحضانة في الصباح، على ان تعيدها في الواحدة ظهراً، وتمكث الى ما بعد العشاء.

- يا الهي! ماذا حدث في غيابي؟

كانت الردهة معتمة موحشة. لم يهتم روجر بطلائها وتجميلها لسنوات عدة، اما مارثا فتكفيها العناية بصيانة الغرف اضافة الى اعمالها الاخرى.

كانت شقتهن، اذا جازت هذه التسمية، مؤلفة من غرفة جلوس،

غرفتي نوم، مطبخ، يتناولن فيه معظم وجباتهن، وحمام صغير في اقصى الردهة. كونها من طبقة واحدة، سهل على سارة ان تجر نفسها من غرفة الى اخرى، ومع انه لا توجد حديقة خلف البيت، بل مجرد ساحة صغيرة، كان عليها ان تشيدا منحدراً من الاسمنت كي تستطيع سارة ان تخرج من الشقة بتلك الوسيلة. وبما ان البناء منفصل المداخل، كان امراً بسيطاً ان تجر مقعدها المتحرك الى واجهة البيت.

دخلت مارثا الى غرفة الجلوس فأحست بخيبة عنيفة ازاء مظهرها الرث بالمقارنة مع الترف المتكامل في قصر آل ميكونوس. انتابتها خيبة اخرى عندما رأت كومة الاطباق في حوض المجلى وشمت رائحة الطعام المتجمد على الصحون المهملة على الطاولة. الم يقم احد بمطلق عمل من حين ذهابها؟

علقت جوزي بصدق طفولي:

- المطبخ كتلة من الفوضى، اليس كذلك؟

- نعم، انه كذلك.

ابتسمت لها مارثا على الرغم منها. قالت وهي تنزع سترتها:

- حبيبتي، هل لك ان تحضري لي ذلك المريول البلاستيكي؟ سأباشر جلي هذه الاطباق، واثناء ذلك اريدك ان تخبريني بما حصل للسيدة بينيت.

ناولت امها المريول فوراً ثم حملت كرسياً منخفضاً استعانت به على الصعود والجلوس الى جانب المجلى الخاص بالتنشيف. عندما غطست مارثا يديها بماء الصابون فاجأتها جوزي قائلة بتفكير:

- لا اظن ان السيدة بينيت تحب خالتي سارة. ما رأيك انت؟

- لا اعتقد ان ذلك مهم يا جوزي. لكن السيدة بينيت انسانة لينة الطباع وتحمل الود لكل الناس. اعترفي الآن، هل تصرفت بشقاوة اثناء غيابي؟ الهذا السبب غادرتنا السيدة بينيت؟

- لم تأت اليوم الى هنا... ولا يوم امس.

ثم غرفت حفنة من فقاقيع الصابون وهتفت بعدما نفختها متسلية:

- اوه، انظري! اليس ذلك جميلاً؟

فهتفت مارثا غير مصدقة:

- ماذا تقصدين انها لم تأت اليوم ويوم امس؟ الم تذهبي الى مدرسة الحضانة؟

- لم اذهب اليوم ولا يوم امس. لهذا السبب كنت العب في الحديقة. لاني ضجرت كثيراً من اللعب داخل البيت.

- لكن لماذا تغيبت السيدة بينيت؟

سارعت جوزي الى الاجابة وهي تمرغ انفها بالصابون:

- لقد اعادت المال الى خالتي سارة. هل ابدو مضحكة بهذا الأنف؟

تنفست مارثا بعمق وقالت:

- جوزي؟ ما هذا الكلام؟

- اجل، ما هذا الكلام يا جوزي!

ردد صوت مألوف خلفها فاستدارت مارثا لتجد اختها تجلس على مقعدها المتحرك عند العتبة. كان وجهها متورداً باحتقان كما كان جلدها الشاحب، المتوافق مع شعرها النحاسي، مبقعاً بعلامات العصبية والاضطراب.

- سارة!

توجهت مارثا اليها فوراً وقبلت خدها. ابتسمت لها بدفء وقالت:

- كيف حالك؟ قالت جوزي انك تستريحين في غرفتك. ما كان يجب ان تزعجي نفسك. كنت سآتي لك بالشاي بعد انتهائي من غسل الاطباق.

اجابتها سارة بنزق غاضب:

- بالأحرى، بعد ان تعلمي من جوزي بما كان يحدث في غيابك! اما قدرت، على الأقل، ان تدخلي غرفتي فور عودتك؟ اما استطعت ان تسأليني عما حدث بدل ان تستجوبي الطفلة؟

تفاجأت مارثا واحتجت قائلة:

- لم اكن استجوبها، لكن بسبب غياب السيدة بينيت...

- وهل اخبرتك جوزي سبب غيابها؟

- لا.

التفتت الى ابنتها بحرج متمنية لو انها لم تشهد هذه المواجهة المزعجة، وتابعت تقول:

- في الواقع، كانت على وشك ان تخبرني، انما يمكنك الآن ان تخبريني بنفسك.

تنفست سارة بحنق ثم تهدلت كتفاها كأنما ادركت ان غضبها في غير محله. بدت، في جلستها المرتخية، منهكة، شاحبة وغاية في النحول. لم يسع مارثا الا ان تضبط امتعاضها منها. لم تكن الحياة سهلة عليها نظراً الى شللها الدائم.

قالت سارة تشرح الأمر بصوت خال من التعبير:

- ضبطت تلك المرأة وهي تفتش في ادراج الخزانة. زعمت انها تبحث عن شريطة لشعر جوزي. لكني لم اصدقها.

قفزت جوزي الى ارض المطبخ وعلقت بواقعية:

- كانت تبحث عن شريطة. اخبرتها انك تضعين الشرائط في الدرج يا ماما، وعندما اضعت شريطتي الاخرى يوم الاثنين...

- اوه، جوزي!

حدقت مارثا الى ابنتها بعجز ثم استدارت الى سارة وقالت:

- الم تخبرك جوزي بذلك؟

- بدا واضحاً ان المرأة لم تكن تبحث عن شرائط! ضبطتها بعدما اخرجت نصف محتويات الدرج. تلك المخلوقة الحشرية! انها امرأة رهيبة... لم احبها ابداً. لا ادري كيف ستتمكن من الدفاع عن نفسها. تظن انها تملك الحق في دخول الشقة ساعة تشاء لمجرد انك تدفعين لها مالاً لقاء اعتنائها بجوزي.

- قالت السيدة بينيت ان خالتي سارة عجوز حقودة...

قاطعتها امها بنظرة ضيق:

- كفى يا جوزي! اظن من الخير لنا ان ننهي الموضوع عند هذا الحد.

قالت سارة بالحاح غاضب:

- لقد تجرأت تلك المرأة على ان تقذف بمالك امامي. ايمكنك ان تتصوري ذلك؟

ادركت باستسلام انها ستضطر الى زيارة السيدة بينيت بعد العشاء كي

تحاول تسوية الأمور.

استوضحتها سارة بحدة:

- اهذا كل ما لديك من كلام؟ في اليومين الفائتين، اضطررت وجوزي الى خدمة نفسينا بسبب تصرفها المخزي، وكل ما تستطيعين قوله...

قاطعتها مارثا بصوت متعب:

- لا موجب لأن ندخل في جدل حول الموضوع. فور انتهائي من الاطباق سأشرع في تهيئة العشاء. بعد ذلك قد نجد بعض الوقت لنتكلم باتزان.

استدارت الى المجلى فاضطرت سارة ان تتقبل اقتراحها. سمعتها مارثا تطلب من جوزي ان ترتب العابها المتناثرة في غرفة النوم. بعد خروج جوزي، عجزت سارة عن احتمال فضولها. اقتربت بمقعدها من المجلى وقالت:

- حسناً؟ ماذا قال ميكونوس؟

سألت مارثا لتكسب بعض الوقت:

- ميكونوس؟ ارسطو ميكونوس؟

- ومن اقصد سواه؟ لا تقولي انه رفض، هل فعل؟ كان يجب ان تتكهني بذلك.

تناولت مارثا منشفة وشرعت تجفف الشُوَك والسكاكين ثم اجابت:

- اجل، رفض الطلب. كنت مصيبة في نصحك. ما كان يجب ان اذهب اليه.

هتفت سارة منتصرة:

- عرفت ذلك! عرفت انك ستهدرين وقتك ومالك ليس الا.

فصححت لها مارثا:

- مال روجر. انسيت انه يمول البعثة؟

- بالرغم من ذلك... قصدت ذلك الرجل! كان يجب ان ترفضي الذهاب.

- سارة، هل نسيت افضال روجر علينا؟ لولا مساعدته لكنا تشردنا على الارجح. لقد اجرنا شقته مقابل مبلغ رمزي... كما امن لي ذلك العمل في الجامعة! لا تنسي ايضاً انه اصطحبنا في الصيف الماضي الى الجزر عندما

اجروا استكشافاتهم البحرية.

فأعلنت سارة بازدراء:

ـ فعل ذلك لانك وافقت على فهرسة ملاحظات الفريق الكتابية. كنت تعملين طيلة النهار وقسماً من الليل. لم تكن اجازة حقيقية بالنسبة اليك.

ردت مارثا بهدوء:

ـ صحيح، لكن جوزي استفادت من البحر والشمس، وانت بدوت في افضل الحالات بعد عودتنا.

قالت سارة بهزة استخفاف:

ـ جميل منك ان تذكري هذا كله، انما يبدو لي ان روجر يعمل على استغلالنا. لعمري، حتى في الاسبوع الفائت، جعلك تدونين كل تلك الملاحظات المتعلقة بجزيرة سانتوريني ..

اجابت مارثا وهي تفتح الثلاجة:

ـ انه يدفع اتعابي. الآن، ماذا تودين ان تأكلي؟ لحماً وبيضاً مقليين؟ اظن انه يوجد بعض السمك في قسم التجليد.

هزت مارثا رأسها، ثم قالت وهي تضع المقلاة على النار وتصف فيها شرائح اللحم:

ـ هناك نساء كثيرات في وضعك يضطلعن بمسؤوليات بيوتهن واولادهن ويطيب لهن ان يثبتن عدم اتكالهن على الآخرين..

علقت سارة مقطبة:

ـ لا تدعينا نكرر تلك الاسطوانة. اني ادبر اموري على افضل ما يرام. بوسعي ان اغتسل وارتدي ثيابي بنفسي. كما ان الدكتور سيكيم اعرب عن سروره بتقدمي.

خجلت مارثا من تعليقها السابق فهتفت باخلاص:

ـ انا ايضاً مسرورة بتقدمك.

لقد اتاحت لمشكلاتها الخاصة بان تؤثر على مزاجها. كما انه من الظلم ان تنفس عن غضبها بتوبيخ اختها.

مع ذلك، لا تزال امامها مشكلتان صعبتان، إخبار روجر بانها فشلت في مهمتها، واطلاع سارة على مواجهتها لدايون. لا يروقها ان تفضي

باخطائها الى سارة. كما انها لا تعرف كيف تبرر لها ذلك الاعتراف من دون ان تقر بالوسائل التي لجأ اليها كي يحصل على المعلومات المطلوبة. لم تجرؤ على التفكير في ما ينوي ان يفعله بهذه المعرفة، وتمنت لو تجد شخصاً اقوى منها، تستطيع ان تلجأ اليه في اوقات المحن.

وصل روجر اثناء تناولهن الطعام. كانت مارثا فتحت علبة حساء كملحق للبيض واللحم، ولما مد روجر رأسه من باب المطبخ تنشق رائحة الحساء باستحسان. كان طويلاً نحيلاً، وبدا باطرافه المرتخية، بحكم طوله المتناهي، مثالاً للبروفيسور الشارد. شعره احمر ومبعثر فوق نظارتيه، انفه طويل وشفتاه غليظتان واسعتان، كما انه من اذكى الناس الذين عرفتهم مارثا حتى الآن. كان استاذاً جامعياً في الرياضيات وعلم الاقتصاد، وهذا المزيج الثقافي من الصعب ان يوجد في شخص ضالع ايضاً في التاريخ القديم، ويسحره اي ضرب من الاستكشافات الأثرية.

ـ مرحباً.

ادخل جسمه الطويل من فتحة الباب وتابع مبتسماً:

ـ اشم رائحة شهية. اهلاً مارثا، لقد رجعت.

توقف يتاملهن ثم سأل:

ـ ما الخطب؟ هناك نوع من الكآبة حول المخيم!

تنهدت مارثا وقالت مبتسمة بأسى:

ـ هلا جلست يا روجر؟ تناول شيئاً من حساء الدجاج. انه يكفينا جميعاً.

ـ اذا اصررت.

وضع كتبه جانباً وقال للطفلة مداعباً:

ـ مرحباً، جوزي. ما امتع ان ارى وجهك نظيفاً من جديد. وانت يا سارة، هل استمتعت مؤخراً ببعض المشاجرات؟

هتفت سارة بعصبية:

ـ اصمت يا روجر!

نقل اهتمامه الى مارثا وكانت تسكب له الحساء. سألها بمرح ساخر:

ـ هل فتحت العلبة بنفسك؟

رفقته الودودة المرحة اعادت اليها ابتسامتها القديمة. وضعت الطبق امامه وقالت تتحداه:

ـ ان كنت لا تريد الحساء...

غطى الطبق بذراعه كأنه يحميه من السرقة. قهقهت جوزي، وحتى اسارير سارة انفرجت قليلاً. عادت مارثا الى كرسيها وتمنت لو انها تحمل له خبراً سعيداً.

بدأ روجر يلتهم الحساء فتبادلت النظرات مع سارة. من الظلم ان تعرضه للتساؤل المقلق. ازاحت صحنها جانباً واخبرته ان ماله ذهب سدى. قالت متحسرة:

ـ لا جدوى هناك. لن يسمحوا لمطلق شخص بأن ينقب فيها.

اسند روجر مرفقيه الى الطاولة وهمهم باستسلام. قضم اظافره باسنانه وعلق بقوله:

ـ حسناً، كان الأمر جديراً بالمحاولة. لا يمكنك التأكد من اي شيء الا بعد المحاولة، اليس كذلك يا مارثا؟

بدا قوله اكثر من مجرد سؤال ينتظر جواباً. وقبل ان تقول شيئاً، استدار الى جوزي حيث مازحها حول افتقادها لزملائها الصبيان في المدرسة، ثم سأل سارة ان كانت قرأت المقالة الطبية حول المقعدين، التي اعطاها اياها. حين التفت ثانية الى مارثا بدت عيناه واسعتين بريئتين خلف نظارته السميكة فتساءلت، هل اخطأت فهم اللهجة الثقيلة في تعليقه المتسائل؟

انتهوا من الطعام فعرضت سارة ان تشرف على استحمام جوزي في حين يساعد روجر في غسل الاطباق. فكرت مارثا بأسى انها منذ وصولها بالكاد اخرجت يديها من ماء الجلي. لكنها رحبت بالفرصة حيث شرحت لروجر بالتفصيل كيف بذلت اقصى جهدها لمساعدته.

قال لها موافقاً:

ـ من المؤكد انك فعلت. حدست بانها ستكون مجازفة بعيدة الاحتمال، لكني حسبت ان هناك املاً بان يوافق من اجلك.

ـ من اجلي!

هزت رأسها بعنف واردفت:

ـ انا شخص غير مرغوب فيه بالنسبة الى آل ميكونوس. كنت تعرف هذه الحقيقة قبل ذهابي.

ـ حقاً؟ حسبت ان الزمن كفيل بتلطيف الندوب القديمة، او ان الغياب يزيد القلوب ولعاً، الى آخره من الأمثال، مع ذلك، انت لم تذهبي لرؤية زوجك. بل والده.

ـ نعم.

تنبه لاقتضاب جوابها فقال ملتفتاً اليها:

ـ ماذا حصل؟ لا تقولي انك رأيت دايونيسوس! الهذا السبب نظرت الي على ذلك النحو المضحك عندما علقت على صعوبة التأكد من الأشياء؟

رددت مارثا غير مصدقة:

ـ انا ... نظرت اليك على نحو مضحك!

ـ ألم تفعلي؟

ـ كلا.

ـ حسناً، حسبت انك فعلت. كانت مجرد فكرة خطرت لي.

توقف قليلاً ثم تابع:

ـ اذن... هل انا مصيب؟ هل رأيت زوجك؟

ـ لم اقل ان دايون كان هناك.

ـ لكنه كان. اليس كذلك؟ اوه، مارثا، ان وجهك يفضحك في كل مرة.

اجابت متوردة الوجنتين:

ـ في اي حال، لم يكن الأمر مثل ذلك.

ـ مثل ماذا؟ ادراكك بانك اخطأت في الانفصال عنه؟

ـ روجر، لا اظن ان هذه الأمور تخصك!

ـ اجل، لكنني الشخص الوحيد المقرب منك. باستثناء سارة، وهي متحاملة بما فيه الكفاية.

ـ ماذا تقصد؟

تنهد روجر ووضع الصحن الذي جففه فوق سائر الاطباق. قال ببعض التردد:

- انت تعلمين.

- كلا. كيف لي ان اعرف؟ لا اعرف حتى عما تتكلم.

ركز نظارته بحركة صبيانية وقال:

- اوه، لا تناوري. انت تعلمين كيف تشعر سارة تجاه زوجك.

- نعم. انها لم تمل اليه ابداً، ان كان هذا ما تقصده. لكن دايون لم يكن يودها ايضاً.

- من سبق الأخر، اني لاتساءل... البيضة ام الدجاجة؟

سألته بضيق متزايد:

- عما تتحدث؟ روجر، لا ارى في الواقع...

- الم يخطر لك ان تتساءلي عن سبب كره سارة لزوجك؟

تنهدت بعمق قبل ان تجيب:

- نعم... لكني اعلم بما تفكر، وانت مخطىء. اعرف ان سارة انجذبت الى دايون في البداية وانه ادار لها ظهره. لكن ذلك حدث قبل زواجنا بفترة طويلة.

علق روجر مقوساً حاجبيه:

- تحليل ممتاز. ثاقب. بعيد النظر!

- روجر، كف عن هذه السخرية! انا وسارة لا نخفي اسرارنا عن بعضنا البعض. ان موقف سارة من دايون ناتج عن تصرفه حيالي! كانت دائماً تقول ان زواجنا لن ينجح. وهذا ما حصل. ثري، ويوناني... كان خليطاً مستحيلاً.

سأل روجر بعدم اقتناع:

- اتظنين ذلك؟

- بل اعرف انه كذلك.

افرغت مياه الحوض ثم قالت وهي تضع الاطباق في الخزانة:

- ادرك حسن مقصدك يا روجر، لكنك لا تفهم حقيقة الوضع.

هز كتفيه وجلس على حافة الطاولة:

- حسناً؟ هل ستخبرينني انك لم تري زوجك؟

- كلا، لم اره.

- وبعد؟

- روجر، ارجوك، لا اريد متابعة الموضوع في الوقت الحاضر. كان يوماً حافلاً، ويجب ان اذهب الى منزل السيدة بينيت لاعتذر منها.

- السيدة بينيت؟ آه، نعم، ضحية اخرى من ضحايا سارة.

- ماذا تعني؟

- من الخير ان انصرف. لدي محاضرة في الثامنة صباحاً ويجب ان ادون بعض الملاحظات. على فكرة، ما دامت رحلة اليونان تبدو صعبة التنفيذ، ما رأيك ان تقضي بضعة اسابيع في ايرلاندا؟ لقد اكتشفوا حطام سفينة اسبانية على مبعدة من الساحل الغربي، فرأيت ان ذلك قد يشكل فصلاً مهماً في كتابي.

كان روجر يؤلف كتاباً عن الحطامات والتحطيم طيلة السنوات الثلاث الماضية، ومع ان مارثا استبعدت ان ينشره في يوم من الأيام، الا ان متعة كتابته عوضت عليه الوقت الذي يستهلكه.

نظرت اليه بامتنان لكنها هزت رأسها عندما الح عليها في القبول. قالت معترضة:

- لا يسعك ان تأخذنا معك اينما ذهبت! سافر واستمتع برحلتك. سوف اطبع لك الاوراق حالما تعود.

- وماذا ستفعلين خلال اسابيع الاجازة الطويلة؟ تسيرين الى المنتزه؟ تأخذين جوزي الى حديقة الحيوانات؟ تزورين المتحف؟ مارثا، لا تفكري في النفقات. لدي المال الكافي. اني اتقاضى راتباً عالياً وابواي لم يتركاني معدماً. يسعدني ان افعل هذا من اجلك... ومن اجل سارة. صدقي او لا تصدقي. فعندما تتوقف قليلاً عن تقطيع الناس بلسانها الحاد، اجد فيها رفيقة ذكية وممتعة. اتعلمين اننا كنا نلعب الشطرنج كل ليلة في غيابك؟

علقت مارثا بجفاف:

- لم اغب سوى ليلتين!

ولما علق روجر بأن الوقت بدا له ضعف ذلك، استعادا شعورهما بالتوازن والصداقة.

٤ - الكارثة حصلت وكانت تفكر في الخطوة التالية. قال لها: «لم تخافين مني الى هذا الحد يا مارثا؟ هل فعلت شيئاً جعلك ترهبين جانبي ؟»

تلك الليلة، لم تخبر سارة قصة لقائها بدايون في ميكوس.

استلقت على فراشها قبل ان تنام ولامت نفسها على تصرفها الجبان. لكن حوارها مع روجر اقنعها بانها ليست مستعدة بعد لأن تتلقى مزيداً من النصائح. انها تحتاج وقتاً. . . وقتاً لتفكر، لتخطط، لتتساءل عما ستفعله في حال اختار زوجها ان يضعها امام الأمر الواقع. القضية لم تنته بعد، لأن دايون ليس رجلاً يرضى بأنصاف الحلول.

صرفت الأمسية في استرضاء السيدة بينيت التي كانت متأثرة جداً لاتهامها بالسرقة. عددت لمارثا شكاواها من سارة وبدت كلها صحيحة في ضوء اعترافات سارة نفسها.

لكن مارثا اقنعت السيدة بينيت بانها اذا تخلت عن مساعدتها فان جوزي ستضطر الى ترك مدرسة الحضانة حتى موعد دخولها المدرسة الابتدائية بعد اجازة الصيف، وانها ستظل في رفقة فتاة مقعدة معظم ساعات النهار.

قالت السيدة بينيت في الأخير:

ـ حسناً سأستمر في اصطحابها الى مدرسة الحضانة يا سيدتي. لكني لن امكث حتى موعد تقديم الشاي للطفلة ان كنت ستتأخرين في عملك. لا اريد ان اتهم ثانية بالتدخل، في حين كنت احاول فقط ان اساعدك.

ـ ادرك هذا يا سيدة بينيت.

ارتاحت مارثا اشد الارتياح حين تأكدت من ان جوزي لن تعاني بسبب اتهامات سارة الرعناء، وعادت الى البيت بنفسية اقل اضطراباً.

كما اراحها الرجوع الى العمل وجو الجامعة المطمئن. خلال اليومين التاليين جاهدت لتعوض الوقت الذي هدرته. معظم الطلاب غادروا الجامعة مع انتهاء العام الدراسي لكن المدير الذي تعمل لديه شغل وقتها بالاشراف على اوراق الامتحانات لتقرير نتائج السنة الدراسية. رحبت بالعمل الدؤوب المتعب اذ انه انساها التفكير في مشكلاتها الخاصة. عشية الجمعة، حين سارت الى بيتها من المحطة، احست برضاء نفسي عن جهودها.

مشهد السيارة السبور، الغريبة الشكل والمتوقفة عند الناصية خارج البيت، بدّل مزاجها فجأة. ان سكان شارع ميريدث لا يقودون سيارات ايطالية باهظة الاثمان. تذكر جيداً خطوط سيارة الفيراري المميزة، ولا مجال للشك في هوية هذه السيارة الأنيقة الدواليب.

شعرت برغبة في الهرب بعيداً. اضافة الى ان جوزي موجودة داخل البيت، ولا بد انها تثرثر الآن كعادتها بكل تلك الثقة التي زرعتها فيها مارثا، ومن دون ان تعي ملابسات الموقف. لكن سارة تعيها جيداً! حين تذكرت سارة، اكملت سيرها ركضاً.

اندفعت الى غرفة الجلوس بأنفاس لاهثة. توقفت حين رأت اختها تجلس وحيدة على مقعدها، والى جانبها صينية شاي على الطاولة. ضج قلبها بخفقان ثقيل وسألت قبل ان تتمكن سارة من الكلام:

ـ اين جوزي؟ رأيت سيارة خارج البيت. سيارة فيراري. ظننت. . .

حدجتها سارة بنظرة ثلجية وسألت ببرود:

ـ ماذا ظننت؟ ان دايون كان هنا؟ انه جاء كي يأخذ ابنته منك؟

ـ اهو هنا؟

ـ ليس في الوقت الحاضر.

راحت سارة تقلص يديها وترخيهما على ذراعي المقعد فاضحة توترها. اردفت تقول:

ـ اعتقد انهما ذهبا الى المتنزه. لا اعرف الى اي واحد بالضبط. . .

ـ سمحت له بأن يأخذ جوزي. . .

بدأت مارثا تتهمها ثم توقفت حين ضربت سارة الطاولة بقبضتها

وهتفت بحنق:

- نعم، نعم، سمحت له بأخذها. ماذا توقعت ان افعل خلاف ذلك؟ ان كنت تحجمين عن الافضاء الي بالحقائق، كيف لي ان ادافع عن نفسي عندما... عندما يأتي ذلك الرجل من دون توقع او استئذان؟

- اردت ان اخبرك يا سارة، لكني احتجت الى وقت...

- حسناً، لديك الآن كل الوقت الذي تريدين. لا موجب لاستغرابي، قال انك اعترفت له بأنه والد الطفلة. لقد اعترفت يا مارثا بالرغم من كل ما قلته سابقاً.

تململت مارثا في وقفتها وعادت تلتفت بعصبية باتجاه الباب. سارت بقلق الى حيث المدفأة وقالت:

- من الخير ان تشرحي لي ما حدث.

الكارثة حصلت، وكانت تفكر في الخطوة التالية، لكن سارة اعلنت رأيها الخاص حين ردت بوجوم:

- بل يتوجب عليك ان تخبريني كيف توصل دايون الى معرفة الحقيقة! يا الهي لا بد انك كنت تتلهفين شوقاً الى اخباره اياها. لم يسعك ان تنتظري، اليس كذلك، وبعد كل ما حصل! انا لا افهمك يا مارثا، لا افهمك بالمرة.

- لم يكن الأمر كما تتصورين يا سارة. انا... لم اتبرع باخباره.

- لا؟ اذن ماذا حصل؟ هل اغواك؟ هل خططتما لذلك قبل ان تغادري؟

- كلا! تعلمين اني لم اراسل دايون قطعياً. كنت اكاتب والده. لقد رأيت الرسائل بأم عينك.

بدت سارة غير مقتنعة وسخرت قائلة:

- هاه! اتقصدين القول ان والده سحب منك المعلومات قسراً؟ ماذا فعل؟ هل مددك على طاولة التعذيب ام انه هدد باقتلاع اظافرك؟

- لا تتساخفي يا سارة!

- اين وجه السخافة في الموضوع؟ ان كنت لم تري دايون...

- لم اقل اني لم اره.

- فهمت. اذن رأيته؟

- حسناً... رأيته.

- ايتها الحمقاء!

احست مارثا بدموع ساخنة تلسع عينيها. لكن هذا ليس وقت البكاء. تمالكت نفسها واجابت:

- اتظنين اني لا ادرك حماقتي؟ اخبريني الآن، اين ذهبا؟ ان دايون لا يعرف لندن جيداً. تلك السيارة في الخارج، انها سيارته، اليس كذلك؟

اعترفت سارة بتعبير حاد:

- قالت جوزي انها ستدله على الطريق.

- هذا يعني حديقة الألعاب.

لاحظت تورد خديها في المرآة واردفت تقول:

- سأمضي كي ابحث عنهما. متى غادرا البيت؟

- منذ ثلث ساعة على الأكثر. وصل... زوجك بعيد الخامسة.

- بعيد الخامسة.

رددت مارثا مفكرة فتذكرت موعد الزفاف. لا بد انه غادر اثينا فور انتهائه. توجهت صوب الباب لكن سارة استوقفتها هاتفة:

- انك لن تدعيه يأخذ جوزي؟ هل ستفعلين؟

ردت مارثا وهي تحس بثقل المسؤوليات التي تواجهها:

- كلا، سأبذل قصارى جهدي. لكن... هل علمت جوزي... اقصد هل علمت من هو دايون بالنسبة اليها؟ هل اخبرها؟

- لم يفعل على حد علمي. كل ما في الأمر انها انجذبت اليه بطريقتها الودودة التي تعلمينها. كما بدا واضحاً ان البيت لم ينل استحسان دايون.

اومأت مارثا وهي تخرج. غادرت البيت وسلكت طريق المشاة التي تمر بين البيوت حتى منتصف شارع ميريديث، ثم تبعت الدرب المختصر خلف ملاعب التنس واطلت في الأخير على حدائق اللعب الفسيحة.

كانت امسية دافئة ورأت اطفالاً كثيرين مع آبائهم في الساحة الخاصة بالصغار. لكن جوزي لم تكن بينهم. تلفتت مارثا بقلق لظنها انها اخطأت التعرف على وجهتهما.

فجأة، رأت دايون عبر المنبسط العشبي حيث تدور لعبة كرة قدم حامية

الوطيس. كان يتوسط مجموعة من الصبية الصغار ويدربهم على مهارات اللعبة، فيما وقفت جوزي على مقربة، تحمل سترته وتبدو مسرورة تماماً بتزاحم الصبية على نيل رضاه.

تعثرت خطوات مارثا لدى تفكيرها بشعبية زوجها الأكيدة، وطغى عليها القلق الذي عانته سنوات طويلة بسبب حرمان جوزي من وجود ابيها. كيف استطاعت ان تفكر بانها كانت تعوض ابنتها عن الثراء والأمان اللذين من شأن آل ميكونوس ان يقدموه لها؟ ماذا يمكنها ان تعطي ابنتها من اشياء يعجز دايون عن اعطائها؟ الحب، ربما.

تطلع دايون في تلك اللحظة ورآها. تراجعت تلقائياً لكن بعد فوات الوقت. رأته يقول شيئاً لجوزي ملفتاً اياها الى وجود امها. ثم تناول السترة من الطفلة وارتداها فيما اندفعت جوزي تقطع المرج في اتجاه مارثا. تلكأ بصرها على زوجها واعترفت، على الرغم منها، بجاذبيته الموجعة.

كانت جوزي تهتف منفعلة:

ـ ماما، ماما، اتعرفين من جاء يزورنا؟

جف فم مارثا والتصق لسانها بسقف حلقها. كل ما استطاعت فعله هو ان تنظر الى ابنتها وتهز رأسها بنفي صامت.

لم يبد على جوزي انها لاحظت شيئاً غريباً، وهتفت ثانية مشيرة الى خلف:

ـ انه صديق لبابا. ابي انا. صديق قديم، انت تذكرينه يا ماما، اليس كذلك؟ تذكرين عمي دايون.

ارغمت نفسها على رفع رأسها عندما انضم اليهما دايون. ان كلمات جوزي طمأنتها قليلاً، لكنها لم تكن مستعدة بعد لمواجهة التحدي الملتمع في عينيه السوداوين. قال بتهذيب مدروس:

ـ مرحباً، مارثا. ارجو الا تكوني تضايقت لاني اخذت... جوزي للتنزه؟ كانت امسية جميلة، وبدت اختك منذهلة من ظهوري.

منذهلة! بوسع مارثا ان تتصور مشاعر سارة! رطبت شفتيها الجافتين واجابته بتهذيب مماثل:

ـ اظنها لم تتوقع مطلقاً ان تراك ثانية. كان... كان يجب ان تعلمنا

بقدومك.

قست اساريره واعلن قائلاً:

ـ لكني فعلت. الم تتلقي رسالتي؟

تقلص وجهها فتابع يقول من دون ان ينتظر جوابها:

ـ لا بأس، المهم اني هنا. سرني جداً ان اتعرف الى ابنتك.

شدت جوزي تنورة امها وسألت:

ـ هل سيمكث عمي دايون عندنا؟

سحبت مارثا بصرها بعيداً عن زوجها كي تركز على كلام الطفلة، وردت بسرعة:

ـ ماذا؟ اوه. لا... لا.

تحاشت نظرته التقييمية الثاقبة وتابعت تقول:

ـ اقصد... ان السيد ميكونوس لن يرغب في المكوث عندنا، حتى لو استطعنا ان نستضيفه. لديه شقة خاصة.

احتجت جوزي بسرعة:

ـ لكنه قال انه لا يعيش في لندن.

زفرت مارثا قبل ان تجيب:

ـ صحيح، لكن... الشركة التي يعمل فيها ستؤمن له مكاناً ينزل فيه.

زمت جوزي شفتيها وسألت بالحاح:

ـ لم لا يستطيع المكوث عندنا؟

اجابتها امها بحزم:

ـ لانه لا يوجد لدينا متسع! اذهبي الآن والعبي يا جوزي، ربما اتكلم قليلاً مع... السيد ميكونوس.

ترددت جوزي، وهتفت متطلعة الى والدها:

ـ انك لن تذهب، هل ستفعل؟ قلت بانك ستتنزهي في سيارتك.

فأكد لها دايون بلطف:

ـ سأفعل، اعدك بذلك.

توجهت جوزي الى حديقة اللعب بخطوات راقصة فيما رمقت مارثا

زوجها بنظرة سريعة قبل ان تبدأ السير على الدرب المؤدي الى ساحات التنس. سار دايون الى جانبها مماشياً خطواتها القصيرة المدى. فكرت، كم تبدو رفقتهما بريئة للناس حولهما، وكم تبدو علاقتهما سلسة، هذه العلاقة التي تسبب لها الآن اضطراباً فائقاً.

امتد بينهما الصمت لكنه قال اخيراً:

ـ انها تشبهك كثيراً، اليس كذلك؟ انها تعجبني. لقد احسنت تربيتها.

لم تقل مارثا شيئاً. كانت تحاول تنظيم مواقفها الدفاعية، فتابع يقول:

ـ لم تخافيني الى هذا الحد يا مارثا؟ هل فعلت شيئاً جعلك ترهبين جانبي؟

زفرت واستدارت اليه بكبرياء وارتجاف. ثم بادرته بالسؤال:

ـ ماذا تنوي ان تفعل يا دايون؟ ما السبب الحقيقي لمجيئك؟ ما نوع الانتقام الذي ستقدم عليه؟ لا اصدق انك جئت لمجرد ان تتعرف على جوزي.

تأمل دفاعها القلق بشيء من التسلية الساخرة. هز كتفيه بتبرم خفيف وهو يقول:

ـ مارثا، لم كذبت علي؟ لم تركتني اعتقد باني لست والد الطفلة، في حين يبدو واضحاً، حتى لأغبى الناس، انها من صلبي؟

اجابت برأس مرفوع:

ـ لم اكذب عليك ابداً يا دايون. لم اقل، ولا مرة واحدة، انها ليست ابنتك.

تملكه غضب شديد وقال بسرعة:

ـ صحيح، لكنك لم تنكري ايضاً انها ليست ابنة رجل آخر!

ـ اتظن حقاً انه كان يتوجب علي ان احاول اقناعك ببراءتي؟

ـ كان من الممكن ان يبدو الأمر منطقياً.

غضبت بدورها واستمدت منه القوة لتقول:

ـ احقاً؟ يا الهي! ماذا تظنني يا دايون؟ ما نوع الزوج الذي يتوقع من زوجته ان تؤكد له بانه والد الطفل الذي انجبته لتوها؟

ـ لم يكن الأمر هكذا وانت تعلمين ذلك! ان اية زوجة اخرى...

ـ تقصد، اية زوجة يونانية اخرى!

ـ كلا، انت تعرفين كيف كانت علاقتنا قبل ولادة الطفلة.

ـ اعرف حق المعرفة!

ـ اذن يجب ان تذكري كيف كنت اشعر...

قالت بسخرية:

ـ كيف كنت تشعر؟

اعتقل ذراعها وقال بوجوم:

ـ نعم، كيف كنت اشعر. انا لست خالياً من المشاعر بالرغم مما تظنينه بي!

نظرت الى اصابعه القابضة على ذراعها وقالت بصوت مختنق:

ـ اوه، اعرف ان لديك مشاعر، مشاعر ارتياب وغيرة...

ـ ومشاعر حب! او بالاحرى، كانت كذلك قبل ان تعملي على تحطيمها!

قالت بازدراء:

ـ الحب! انك لا تعرف معنى الكلمة.

نظر اليها بسخط كأنه يرغب في ايذائها، لكن المتنزه مكان عام لا يصلح لأعمال مسرحية من هذا النوع. اطلق سباباً مكتوماً وارخى ذراعها. دس يديه في جيبيه واشاح عنها.

فركت ذراعها وتبعت نظرته الى حيث كانت جوزي تلعب. انها بالتأكيد بنت صغيرة جذابة بشعرها الأسود الرائع وبشرتها البيضاء. الطبيعة مزجت الوانها بالوان دايون كي تنتج خليطاً فريداً، وما هي الا بضع سنوات حتى تصبح جوزي صبية متميزة الجمال. أليس ظلماً ان تتوقع من دايون ان يضحي بحصته من مشاهدة ذلك التفتح بسبب خلافاتهما الشخصية؟ هناك ازواج وزوجات يتوصلون الى اتفاقات ودية، لم لا يتفقان هما مثل هؤلاء؟

قالت مارثا محاولة التكلم بهدوء:

ـ احسب انك تعتزم اخبارها. اقصد جوزي. انت تنوي اعلامها بانك والدها، اليس كذلك؟

صمت دايون قليلاً ثم واجهها من جديد. الآن تحمل عيناه تصميماً بارداً، مع انه، قبل لحظات قليلة، كان يرمق ابنته باعجاب حنون.

قال وكلماته تخترق قلب مارثا في الصميم:

ـ اني اريدها يا مارثا، واعتزم الحصول عليها بطريقة او باخرى.

تمسكت بحاجز الملعب المعدني كي تتفادى الترنح ورددت بوهن:

ـ تريدها؟ ماذا تعني... تريدها؟ انا على استعداد للتوصل معك الى اتفاق معقول بالنسبة الى حقوق الحضانة، لكن...

ـ لا اتكلم عن هذه الحقوق يا مارثا، قصدت اني اعتزم اخذها معي الى اليونان، كي تعيش معي بصفتها ابنتي الشرعية.

قالت بارتجاف:

ـ لا يمكنك ان تفعل ذلك!

رد بازدراء:

ـ لم لا اقدر؟ اتظنين ان اية محكمة، سواء في بلدك او في بلدي، ستنكر قدرتي على اعطائها الكثير مما تعجزين انت عن تقديمه اليها؟

ـ المال ليس كل شيء.

ـ هذا ما سمعته منك مراراً وتكراراً. لكني الفتك الى انه يؤمن لي مقداراً معيناً من الامتياز بما في ذلك المجال القانوني. وفي ضوء الظروف، سيبدو انك... تحملين من المسؤوليات الاخرى ما يكفيك.

غاض الدم من محياها وقالت تحتج بوهن:

ـ انك... لن تفعل هذا، لن تستعمل كساح سارة سلاحاً في القضية!

ـ لم لا؟ الا يحق لي ان الجأ الى مطلق وسيلة كي احصل على مآربي الخاصة؟ انت اوجدت هذا الوضع يا مارثا حين ابعدت ابنتي عني. ما شأني انا، ان كنت تجدين نفسك مغلوبة على امرك بسبب تحملك لكل تلك المسؤوليات؟

ـ لكن... لكن ذلك عمل غير انساني!

ـ وهل كان تصرفاً انسانياً ان تعامليني على ذلك النحو؟ كيف تتصورين شعوري عندما حرمت من زوجتي ومن طفلتي بضربة واحدة وساحقة؟ كان بوسعي ان اقتلك آنذاك، بل اردت ان اقتلك، صدقيني! وبدلاً من ان

اصغي الى غرائزي واتبعك الى لندن، انغمست في اعمال الشركة لأبلسم آلامي حتى استعدت السيطرة على نفسي واعصابي. بوسعك ان تشكري عائلتي على ذلك.

هز كتفيه معبراً عن انتهائه من ذلك الموضوع وتابع يقول:

ـ بالطبع، عندما جئت اخيراً لأبحث عنك اخبرني المحامون انك انتقلت الى هذا البيت في ومبلدون الذي يملكه روجر سكوت، صديق العائلة!

قالت وهي تضغط على عينيها بكفها:

ـ اضطررنا الى الانتقال... سائق جبان صدم مارثا بسيارته وهرب. اما الشقة... شقتها التي استأجرتها بعد ان تزوجنا وبعنا البيت، فما عادت تنفع فتاة مقعدة تدور على مقعد متحرك. اضافة الى وجود الطفلة...

قاطعها بصوت فاتر:

ـ لكنك ارتأيت ان تحجبي عني تلك المعلومات، بل انك لم تجيبي حتى على رسائلي.

ـ لم يكن هناك ما يقال. لم ارد منك شيئاً.

ـ والآن؟

ارغمها على التطلع اليه فأحست بعقم موقفها ازاء سلطته. هتفت تناشده على الرغم منها:

ـ لم لا تتركني وشأني؟ قلت اني انشأت جوزي تنشئة حسنة، لماذا لا استطيع الاستمرار في هذا؟ بوسعنا ان نتوصل الى اتفاق ما...

تأملها بتعبير جامد وسأل ببرود:

ـ اي اتفاق تريدين؟ ان تعيش معك وتقضي الاجازات معي؟

قالت بآمال منتعشة:

ـ هذا احتمال معقول.

ـ كلا.

ـ كلا؟

قال ناظراً الى جزمته:

ـ لن يناسبني ذلك على الاطلاق. اريد الاحتفاظ بابنتي!

ـ انها ذات حق شخصي، لعلمك. لا يمكنك ان تأخذها مني بهذه السهولة!

اجابها دايون بصوت بارد:

ـ لا تتوهمي باني سأعجز عن اقناعها. انا والدها، كما يوجد فيها شيء مني بالرغم من شبهها لك. هناك طرق عديدة لاكتساب مودة الأطفال... الالعاب، الوعد بالترف، الاغراء بمتعة الاسفار وتغيير الأماكن.

ثم اضاف قبل ان تتمكن من مقاطعته:

ـ وعن طريق الحب! بوسعي ان امنحها جدّين، اعماماً وعمات وخالات، ابناء اعمام وخالات وعمات، لم تحس بعد بوجودهم على سطح الأرض! سيكون امراً محيّراً بالنسبة الى طفلة مثلها، اليس كذلك؟

صفعت وعيها كلمة واحدة من كلامه، فهمست بوهن:

ـ بوسعك؟ قلت انه بوسعك ان تقنعها، اتقصد انك لا تعتزم اقناعها؟

تفحص محياها المضطرب بنظرات مركزة ثاقبة ثم نظر مجدداً في اتجاه الملعب حيث كانت جوزي تلعب بالرمال مبتهجة. وفيما كانت مارثا تحاول جاهدة ان تكبح اضطرابها اخذ يراقب مسلك ابنته المميز وهي تجرف الرمل الى داخل السطل، ثم رقت شفتاه بحنان عندما انتجت قصراً رملياً ما لبثت ان بعثرته.

لكن حنانه اختفى حين استدار ثانية ليواجه مارثا. انتظرت جوابه برهبة فقال اخيراً:

ـ لا. لا اعتزم اخذها منك. ليس بمقدوري ان افعل ذلك. لكني اعتزم استرجاعك...

ـ لا...

ـ ولكون سارة تعتمد عليك كلياً، فلا أمانع في ان تعيش معنا بدورها!

٥ - أحست بذهول وحيرة لعجزها عن استيعاب خططه او دوافعه. استطاعت فقط ان تفترض انه يريد استرجاعها كي يجعلها تعاني المذلة التي عاناها عندما تركته...

احست مارثا بخواء في رأسها. لم تأكل ذلك اليوم سوى القليل. الساعة الآن جاوزت موعد عشائهم. لكن قلة الأكل ليست السبب الوحيد لهذا الدوار العنيف الذي يتملكها. لاحظ دايون شحوب محياها فأخذته الشفقة عليها. قال بصوت لا يخلو من اللطف:

ـ هيا، سآتي بجوزي ونعود الى البيت كي آخذ السيارة. ثم نتناول العشاء خارج المنزل. يجب ان نتكلم. هناك خطط وترتيبات تحتاج الى بحث...

قالت مارثا بصعوبة:

ـ كلا يا دايون. لا استطيع... اني ارفض العودة الى اليونان.

قست ملامحه فوراً واكد بصوت بارد:

ـ لا اعتقد انك صاحبة الخيار. الا اذا كنت تعتزمين الهرب ثانية. لكن تأكدي، في حال اقدمت على ذلك، انك لن تهربي بسهولة هذه المرة.

اغمضت عينيها كي لا ترى تعبيره الحاقد. سمعته ينادي ابنتها فاقبلت جوزي بسرعة. امسكت يده بلهفة ومشت الى جانبه قفزاً وهي واثقة تمام الثقة من علاقته الأكيدة بوالدتها، وغير شاعرة بلوعة امها العاطفية.

بدت الطريق لمارثا من دون نهاية. لم يسبق ان شعرت بكل هذا الضياع والوحدة. اما ثرثرة جوزي المنفعلة فلم تخفف كربها بل اكدت اتساع الهوة التي استطاع دايون ان يوجدها بينهما. احست بذهول وحيرة لعجزها عن استيعاب خططه او دوافعه. استطاعت فقط ان تفترض انه يريد

استرجاعها كي يجعلها تعاني المذلة نفسها التي عاناها عندما تركته. ان تصرفه تجاهها يعزز هذا الافتراض، ان عدم اكتراثه باحاسيسها يحط من كرامتها، كما ان غروره يسحقها!

فكرت في الخيارات الاخرى. اذا رفضت العودة معه، سيجد طريقة ما كي يأخذ جوزي منها. فكما قال لها، ماذا يمكنها ان تقدم للطفلة؟ هل ستقر مطلق محكمة بصلاحية ظروفهن المعيشية؟ هل ان اضطرارها الى العمل اليومي خارج البيت سيؤثر على قرار المحكمة ضدها؟

ان مهمة اخبار سارة بعرض دايون الأخير تشعرها برهبة يائسة. فسارة كرهت زوجها منذ البداية، وسترفض، على الارجح، ان تغادر لندن. اين ستعيش؟ لم يبحث معها دايون هذه النقطة. في ميكوس ام في اثينا؟ ما يهم اين سيقمن؟ المهم انها في مصيدة، صنعتها بيديها.

لما وصلوا الى البيت في شارع ميريديث، استند دايون الى مقدمة السيارة وقال:

ـ سأنتظر هنا ريثما تحضران معطفيكما او غيرهما من الأشياء وريثما تطلعين اختك على الخبر السعيد.

قررت مارثا الا تدعه يرغمها على ان تطيعه كلياً. لا يستطيع اكراهها على مشاركته العشاء. تجاهلت نظرات جوزي الخائبة وقالت:

ـ لا استطيع مرافقتك. علي ان اجهز عشاء سارة. لن اتقاعس عن واجباتي، سواء شئت ام ابيت.

استقام دايون في وقفته وضاقت عيناه القارستان وسط اهدابه الداكنة. قرص كتف جوزي مداعباً وقال:

ـ حسناً. سأتناول العشاء هنا. أيسرك ذلك يا صغيرتي؟

زمت جوزي شفتيها وقالت باحتجاج:

ـ وعدت بأن تنزهني بالسيارة!

ـ سأفعل ذلك فوراً.

ثم التفت الى مارثا قائلاً ببرود:

ـ اتسمحين؟ خمس دقائق فقط؟

غمغمت بصوت خفيض:

ـ هل استطيع ان امنعك؟

لم تنتظر جوابه، بل مرت به مسرعة. صعدت الدرب ودخلت الى البيت.

وجدت روجر يتحدث مع سارة عندما دخلت الى غرفة الجلوس. ابتسم لها بعطف ونهض عن مقعده قائلاً:

ـ سمعت ان لديك زائراً. اعتقد انني المسؤول عن مجيئه.

ـ كلا. انا المسؤولة.

مررت يدها على شعرها وتابعت تقول:

ـ هناك ضيف سيتناول العشاء معنا. عن اذنكما، سأذهب لأرى ما يمكنني ان اقدم له.

هتفت سارة بغضب:

ـ دايون! دايونيسوس ميكونوس سيتعشى معنا؟

ـ سارة، ارجوك، لا تثيري المشكلات، لدي منها ما يكفيني.

علق روجر وهو يتجه صوب الباب مرتبكاً:

ـ اظن من الخير لي ان انصرف.

لكن مارثا هتفت بتوسل:

ـ لا، لا تذهب يا روجر. اقصد... هل لك ان تبقى وتشاركنا الطعام؟ انا ... سأرحب بدعمك.

ـ دعمه؟

كررت سارة وهي تجر مقعدها صوبها:

ـ مارثا؟ ماذا جرى؟ لم تطلبين مساعدة روجر؟ ماذا قال لك ذلك الرجل؟

عادت مارثا تناشده:

ـ روجر، ارجوك...

ـ حسناً، ان كنت تريدين بالفعل ان ابقى...

ـ اجل، اريد ذلك.

اختفت مارثا داخل المطبخ فلحقت بها سارة على مقعدها، وهتفت بها مقطبة الجبين:

ـ مارثا! ان لم تخبريني عما يجري سأذهب الى غرفتي وابقى هناك. قد افعل ذلك في اي حال، اذ لا ارغب في مجالسة ذلك الرجل!

ـ انه يريد جوزي، يا سارة. قال انه سيطالب بحق حضانتها ان لم...

ـ ان لم؟

ـ ان لم اوافق على الرجوع اليه.

ـ ماذا؟

ذهلت سارة مثلما انذهلت مارثا من قبل.

ـ اجل، قال انه مستعد لأخذنا معاً، اقصد اخذنا نحن الثلاثة... من اجل جوزي، على ما اظن.

حدقت فيها سارة كأنها لا تصدق ما تسمع:

ـ انت تمزحين ولا شك!

ـ كلا. هذه هي الحقيقة.

اشاحت مارثا عن تحديق اختها القاسي وشرعت تنزع ورق البلاستيك عن شرائح اللحم. اردفت تقول:

ـ اعلم انه واقع صعب التقبل لكنه لم يترك لي خياراً.

ـ تقصدين انك وافقت؟

قالت مارثا برأس منحن:

ـ لم اعارضه. اوه، في البداية رفضت بالطبع، لكن عندما... عندما اتضحت لي الصورة...

ـ لا يمكنك ان تفعلي ذلك يا مارثا!

ردت متنهدة:

ـ ماذا افعل خلاف ذلك؟

ـ يمكنك ان تحاربيه!

ـ واذا خسرت؟

ـ انك تخسرين من مجرد عدم المحاولة.

قالت مارثا مدافعة عن نفسها:

ـ اني احاول ان اكون منصفة مع جوزي. كنت بدأت افكر في ذلك مؤخراً...

ـ ماذا؟ اتودين الرجوع اليه؟ الهذا السبب اخبرته؟

ـ لا، لا، لا!

غطت اذنيها بكفيها كأنها تريد اسكات الشكوك التي كانت تعذبها وتعذب اختها ايضاً. قالت متوسلة:

ـ سارة، حاولي ان تفهمي. اذا عملت برأيك، اذا ذهبت الى المحكمة، فقد احرم من رؤية جوزي الى الأبد.

ـ هراء! انهم لا يستطيعون حرمانك من حق الحضانة.

هتفت مارثا محدقة فيها:

ـ الحضانة! الحضانة! اتظنين اني لا اريد شيئاً سوى الحضانة؟ سارة، ان جوزي ابنتي، الابنة الوحيدة التي قد لا انجب سواها. لا استطيع التخلي عنها. لا استطيع!

قالت سارة بصبر نافد:

ـ قد تتزوجين ثانية. انت شابة، في كامل عافيتك.

ثم اتسم صوتها بالمرارة وهي تردف:

ـ لو كنت مقعدة، لامكنك الجزم بانك لن تتزوجي مرة ثانية. من الجائز ان تلتقي برجل آخر صباح غد...

ـ كلا يا سارة.

استدارت مارثا لتتابع تحضير اللحم لكن سارة قالت بصوت بارد:

ـ اذن، انتما بغنى عن استشارتي. حسناً، لا تتوقعي مني ان ارافقك، لاني لن افعل.

هتفت مارثا بامتعاض:

ـ سارة!

ـ اني اقصد ما اقول. لا اعتزم ان امنح ذلك الرجل اية سلطة علي! اذهبي، ان شئت. اتركيني... سوف اتدبر اموري بشكل ما. لكني لن اذهب معك فلا تتوقعي ان اغير رأيي.

ـ سارة!

الا ان المقعد المتحرك كان قد غادر المطبخ الى غرفة الجلوس، فاضطرت مارثا الى التركيز على الطهو بقلب واجف.

بالرغم من هبوط عزيمتها، سرعان ما احمرت شرائح اللحم بطريقة متقنة كما ان السلطة التي هيأتها كانت ناضرة وخفيفة. الا ان الطعام كان ابسط مشكلاتها لأن غياب دايون وجوزي امتد الى ثلث ساعة حيث شعرت بخوف جعلها تتساءل ان كان سيهرب بها.

الا انها استمدت قوة من روجر الذي تجاهل صمت سارة المتعض وبدأ يتحدث عن فيلم شاهدوه معاً على شاشة التلفزيون في الليلة السابقة. سأل مارثا رأيها في الفيلم وعما اذا كانت توافق على ان الحبكة قد بسطت جيداً كي تستقطب عدداً اكبر من المشاهدين.

حاولت مارثا ان تجيبه لكن ذهنها عجز عن تكوين رأي معين. كانت تفكر في اعتذار مناسب عندما سمعت حفيف دواليب على الطريق ثم صوت محرك يتوقف.

علق روجر بنظرة لطيفة ومتفهمة:

ـ لقد رجعا. يمكنك الآن ان تتنفسي من جديد.

ترددت مارثا لحظة ثم سارعت الى المطبخ كي تطمئن الى سخونة اللحم. نظرت سارة الى روجر ثم جرت مقعدها في اتجاه الباب. لكن روجر سد طريقها وسمعته مارثا يقول لها بسخرية:

ـ يجب ان تبقي هنا لترحبي بصهرك.

ضاع جواب اختها الغاضب في غمرة الضجيج الذي احدثته جوزي لدى دخولها الانفعالي. تقدمت مارثا الى باب المطبخ بتردد، فاندفعت جوزي نحوها وهتفت محدقة الى امها بعينين متألقتين:

ـ انها رائعة جداً! اقصد سيارة عمي دايون. تسير بسرعة هائلة!

قالت مارثا ببسمة متوترة:

ـ يسرني انك استمتعت بالنزهة يا حبيبتي.

رفعت رأسها حين دخل دايون الى الغرفة. نظر اليها اولاً ثم الى روجر واخيراً الى سارة. اغلق الباب خلفه وحيا سارة بانحناءة خفيفة من رأسه. تطلع بتساؤل الى الرجل الآخر فسارعت مارثا الى القول بتلعثم:

ـ اوه، هذا روجر سكوت يا دايون. روجر، هذا . . . السيد دايون ميكونوس.

ـ اهلاً.

صافحه روجر بتهذيب، واخذا يرمقان بعضهما بعضاً بتقييم صامت. لم تقل سارة شيئاً بل نظرت الى يديها المعقودتين على حضنها، هنا استدارت مارثا وعادت الى المطبخ طلباً للهرب.

تلفتت حولها بقلق. المطبخ فسيح تماماً. على الأقل، يتسع لثلاثة اشخاص ولشخص رابع احياناً. لكن هل يتسع لخمسة اشخاص؟ وماذا سيقول دايون؟ هزت رأسها بشك. يجب ان تفكر في حل.

ـ جئتك بهذه.

صوت دايون الذي انبعث خلفها جعلها تستدير بعنف.

رأته يقدم لها زجاجة ملفوفة بورق رقيق. قال لها:

ـ هذه سبب تأخرنا. بحثت طويلاً حتى وجدت البائع المناسب. انها مساهمة بسيطة ليس الا.

ـ اوه، شكراً.

املت ان يغادر المطبخ لكنه سألها متلفتاً حوله بفضول:

ـ هل سنأكل هنا؟ لا يوجد متسع كاف، الا اننا سنتدبر امورنا حتماً.

غمغمت بارتباك وهي ترمق بدلته الداكنة:

ـ فكرت ان نأكل في غرفة الجلوس، اقصد . . .

ـ اتظنين اني ارتفع عن تناول الطعام في المطبخ؟ متى اعطيتك ذلك الانطباع؟ لقد طهوت لي الطعام في مناسبات ماضية على ما اذكر. على سبيل المثال، في بيتكم القديم في ماكسويل غروف.

فتحت مارثا درجاً واخرجت منه غطاء فردته على طاولة المطبخ من دون ان تنفوه بكلمة. اكيد انه ذكر بيت ابويها عمداً كي يذكرها بأيام علاقتهما الأولى قبل ان تخنقها قيود الزواج منه. كانا سعيدين كثيراً في تلك الأيام، مفعمين باللهفة والحب. او بالاحرى كانت هي الواقعة في حبه، صححت لنفسها حين تذكرت الغيرة التي خنقت سائر العواطف.

قبل ان يتزوجا قضيا اوقاتاً طويلة في ماكسويل غروف. كان مكاناً يتيح لهما الاجتماع والانفراد ببعضهما البعض، عندما تخرج سارة من البيت. كانت مارثا آنذاك تسعى الى الانفراد بدايون اكثر من سعيها الى اي

شيء آخر.

نزع دايون سترته وعلقها حول ظهر احد الكراسي. فك زر قميصه الأعلى مرخياً ربطة عنقه، فتهادت نحوها رائحته الدافئة. قاطعتها جوزي بصوتها الطفولي فرحبت بدخولها المفاجيء اذ استطاعت ان تقذف بذكرياتها بعيداً.

اعلنت الطفلة بمرح:

ـ اخبرتني خالتي سارة ان روجر سيبقى لتناول العشاء معنا. لكنها طلبت مني ان اخبرك انها لا تريد شيئاً من الطعام.

تقلص فم مارثا وردت بثقة ظاهرية:

ـ ستأكل عندما ترى نوع الطعام. جوزي، هل لك ان تخرجي الأكواب المستطيلة من الخزانة؟ ايضاً، اخبري خالتك سارة بان عليها ان تأكل شيئاً لاني صنعته لها خصيصاً.

فعلق دايون بجفاف:

ـ اختك لا تنسى الماضي بسهولة. اين المبرام؟ اريد فتح هذه الزجاجة.

اعلنت مارثا بتوتر وهي تبحث في درج السكاكين:

ـ قالت سارة انها لا تريد مغادرة انكلترا. لا يمكنني ان اتركها بمفردها.

ـ متى ستدركين انك لست سجانة اختك وانها ليست سجانتك؟ بالطبع ستقول انها لن تغادر انكلترا لأنها تعرف كم ستشعرين بالذنب من جراء ذلك. اسمعي، قولي لها انك ستغادرين، ثم ننتظر ما ستقرره.

ـ انك لا تشعر بأي ندم، اليس كذلك يا دايون؟ ان حادثة سارة لا تعني شيئاً بالنسبة اليك.

ـ اعرف اني لو كنت مكانها لبصقت علي. لماذا، اذن، اشفق عليها؟ لقد حاولت دائماً ان تفصل بيننا، ولا تزال تحاول.

هتفت مارثا باختناق:

ـ لا يوجد شيء بيننا يا دايون! لا تتوهم باني ضعيفة الارادة لمجرد انك تبدو الآن سيد الموقف! انا لست دمية. انا لا اقفز عندما لؤمر بذلك. ان كنت تظن، ان ارغامك لي على العودة اليك سيجعلني اغير رأيي فيك،

فأنت مخطيء اشد الخطأ.

صمت عن الاجابة مظهراً ميله الى اقفال الموضوع، ودخول جوزي بالأكواب حال دون متابعة الجدل. قالت الصغيرة وهي تضع الكؤوس على الطاولة:

ـ قالت خالتي سارة انها ليست جائعة. اعتقد انها صادقة يا ماما، لأنها غضبت كثيراً عندما بلغتها رسالتك.

التمعت عينا دايون وربت على رأس جوزي قائلاً:

ـ لا تقلقي على خالتك يا صغيرتي. لا تخافي، سوف تغير رأيها.

سكبت مارثا الطعام في الصحون قبل ان تضعها على الطاولة. لم يكن هناك متسع لأطباق التقديم، وبدت الطاولة جذابة بعد سكب الشراب.

سارت الى الباب ودعت روجر الى دخول المطبخ. اومأ بروح طيبة وهو يسوق مقعد سارة بالرغم من احتجاجها. قرّب المقعد من الطاولة واكد لها بسخرية:

ـ لا يمكنك ان تتغيبي عن هذا التجمع العائلي. الطعام يبدو شهياً يا مارثا. ليت لدي شخصاً يطهو لي العشاء كل ليلة.

عندما جلسوا الى المائدة، رمقه دايون بنظرة متفحصة ثم قال:

ـ هل تعتبر نفسك جزءاً من هذه العائلة يا سكوت؟ اخبرتني مارثا انك... كيف تصف نفسك؟ صديق العائلة؟

ـ هذا صحيح. فوالداي ووالداها كانوا اصدقاء منذ وقت طويل. وعندما احتاجت مارثا وسارة الى مكان للسكن، اسعدني ان اقدم لهما هذا المكان. اعلم انه ليس فخماً الا انه رخيص.

ـ كنا سنضيع لولا مساعدتك يا روجر.

اكدت له مارثا غير مبالية برد فعل دايون، لكنها تفاجأت عندما ايد زوجها امتنانها بقوله:

ـ ارى بوضوح اني مدين لك بأمور كثيرة.

استقر بصره على جوزي التي كانت تشرح اللحم بصعوبة ثم انتقلت عيناه الى سارة حين تابع قائلاً:

ـ ليتنا تعرفنا على بعضنا قبل اليوم.

التقت نظرات روجر ومارثا عبر الطاولة لكنه لم يعلق بأي شيء.

سارة، من جهتها، اصغت الى الحوار بصمت، فمرأى الطعام ورائحته طغيا عليها فاستمتعت به، مثل الآخرين، مع ان عينيها اتجهتا مراراً صوب اختها حيث حدقت فيها بمرارة وامتعاض.

عاد دايون يقول:

- علمت انك تهتم بالآثار، يا سكوت.

فرد روجر بمودة:

- صحيح. انها هوايتي. كنت استمتع دوماً بنبش الأطلال العتيقة.

ابتسم للفتاة المقعدة الجالسة الى جواره واردف:

- لهذا السبب انسجم مع سارة كثيراً.

حدجته بنظرة قاتلة واجابت بنزق:

- ان مزاحك الرهيب لا يقل فظاعة عن آداب سلوكك!

ابتلعت مارثا ريقها كي تخفي الضحكة الهستيرية التي هددت بالانطلاق من حلقها. من طبع روجر ان يمازح اختها على هذا النحو، لكن مضامين عبارته كانت جدية تماماً، الأمر الذي اشعرها بانها اقرب الى البكاء منها الى الضحك.

انقذ دايون الموقف حين سأل روجر عن ابحاثه المتعلقة بالآثار اليونانية. ثم قال:

- اعتقد ان لديك اهتماماً خاصاً بالانفجار البركاني في ثيرا (استعمل الاسم القديم لجزيرة سانتوريني) هل زرتها يوماً؟

هز روجر رأسه:

- كلا، لسوء الحظ. وانت؟

استغربت مارثا حين رد زوجها بالايجاب:

- مرة واحدة. انها ليست مكاناً جذاباً. يبحر المرء داخل خليج محاط بأجراف كئيبة، وبالرغم من ألوانها لا يوجد فيها أي سحر. بالطبع، انت تعرف كيف انفجر البركان وكيف غار وسط الجزيرة. ذلك النوع من الكوارث يخلف وراءه... جواً معيناً. اليس كذلك؟ بالطبع هناك قرى وناس، والحياة مستمرة.

اصغى اليه روجر باهتمام، وقاطعه الآن ليسأله ان كان رأى الكتلتين الحميميتين اللتين ظهرتا في الفوهة حيث كان البركان قائماً.

فأمال دايون رأسه وقال:

- تعني نيا كاميني وباليا كاميني؟ او، الجزيرة المحترقة القديمة والجزيرة المحترقة الجديدة؟ اجل رأيتهما طبعاً. هل سمعتهما توصفان بانهما تذكران بسطح القمر؟ انهما مثل حارسين للزلزال، وعندما يلاحظ المرء خيط دخان يرتفع منهما لا يسعه الا ان يشعر بفنائية الانسان.

قال روجر وهو لا يدري، هل يخاطب دايون باسمه مجرداً ام بلقب السيد:

- لم اعلم بانك تهتم بعلم الآثار. هل قمت بأية دراسات حول ميكوس بالذات؟

ابتسم دايون، وتساءلت مارثا ان كان روجر يعي كم تخدع الابتسامة احياناً. اجابه زوجها بدماثة:

- لا يحتاج المرء الى دراسة علم الآثار كي يطلع على اسطورة ثيرا. لا تنس ان اليونان وطني وان الجزر جزء مكمل لحياتي. انا ايضاً، اجد تاريخها ممتعاً وخلاباً.

هتف روجر بحماسة:

- لكن سانتوريني تحير المؤرخين منذ سنوات طويلة. ان نظرية سولون حول اتلانتيس لا تزال موضع اخذ ورد، كما زعم البروفيسور مارياناتوس ان خلط سولون للتواريخ لا يعتبر اكثر من غلطة كتابية.

علق دايون بجفاف:

- ارى انك منجذب بدورك الى تاريخنا. تعلم بالطبع، ان عدم وجود اية بقايا بشرية يدل على وجهة النظر الموحية بأن السكان قد وجدوا الوقت كي يهربوا قبل حدوث الكارثة، مع وجود الشك بعدم استطاعة اي مركب او سفينة ان يصمد امام الموجة المدية التي اعقبت ثورة البركان.

اراح روجر مرفقيه على الطاولة وقال شارحاً بحماسة:

- هذه هي نظريتي بكاملها. لو كان هناك اي ناجين من الفيضان، لكانت جزيرة ميكوس الجأتهم اليها على الارجح.

فاحتجت سارة بعصبية:

- اوه، هل علينا ان نقضي الأمسية في الحديث عن تلك الحضارة المندثرة! كلنا نعلم مدى انغماسك في الماضي، يا روجر، الا انني شخصياً، افضل ان اطلع على ما سيحدث في الوقت الحاضر.

رمقت اختها بنظرة متحدية وسألتها:

- هل ستغادرين يا مارثا؟ اظن انه من حقي ان اعرف، ام تريدينني ان اعرف ذلك من افواه الآخرين؟

- ستغادرين يا ماما؟

التقطت جوزي كلمة خالتها فتابعت السؤال وتقاسيمها البريئة تعكس حيرة ملهوفة:

- اين ستذهبين يا ماما؟ لم تخبريني...

رمقت مارثا اختها بحنق ثم اجابت ابنتها تطمئنها بحزم:

- لم نقرر شيئاً حتى الآن يا حبيبتي. خالتك سارة تتكلم عن شيء قد يحصل، هذا كل شيء.

قال دايون:

- ما تقصده امك يا جوزي، هو اني اقترحت عليها ان تأتين كلكن معي لتسكنّ في بلدي.

- في بلدك؟

- رد دايون بهدوء:

- اليونان. بلد... والدك.

استوضحته سارة بتهكم:

- لم لا تخبرها يا دايون؟ انك تريد ذلك فلم لا تفعل؟ ام انك لست مستعداً للتورط الى هذا الحد؟

- سارة...

انبها روجر بدهشة مستاءة لكن دايون سارع الى نصحها بتحذير واضح:

- لا تحاولي مقارعتي يا سارة. اننا نعرف بعضنا تمام المعرفة فلا حاجة للدخول في هذا النوع من الحماقة. خير لك ان تلجمي لسانك عندما لا

يطلب رأيك، الا اذا اردتني ان اشرح لزوجتي... كيف اقول ذلك؟ تنافرات معينة في مسلكك؟

لدى هذا الاعتراف، نظرت مارثا تلقائياً الى ابنتها، لكن الصغيرة لم تلاحظ هفوة دايون، او لاحظتها، انما لم تقرنها بأمها. جلست تحدق مفكرة، فادركت مارثا انها لا تزال تحلل عبارة دايون.

كلمات دايون اسكتت سارة على الأقل، فحدقت في صحنها متكدرة. تكثف الجو بالتوتر، ومع ان مارثا ادركت ان سارة هي المسؤولة عما حصل، الا انها اقرت في الوقت ذاته، انه لولا وجود دايون، لما تأزم الموقف هكذا.

قالت جوزي بفضول:

- اين تسكن يا عمي دايون؟ الديك بيت مثل روجر، او مجرد شقة مثلنا؟

لانت تقاسيم دايون فاندهشت مارثا من قدرته على التكيف تبعاً لمصالحه. كما لاحظت ان جوزي كانت تستمتع بشعبيتها غير المتوقعة.

اجابها والدها بعد قليل:

- لدي عدة بيوت... وشقة. لكن البيوت لا تعني الكثير. ما يهم هو الناس الذين يسكنون فيها.

تقلصت اصابع مارثا حول شوكتها، واضطرت الى عض لسانها كي لا ترد على ذلك الجزء المعين من الدعاية. هذه العبارة نفسها، حول اهمية الناس، قالتها مرة لدايون اثناء احدى مشاجراتهما الساخنة، وها هو الآن يستعملها ضدها عن تعمد.

كررت جوزي والعجب يملأ عينيها:

- عدة بيوت... يعني اكثر من بيت واحد؟ هل تعيش فيها كلها؟

شعرت مارثا بامتعاض من تأثيره على الطفلة فتدخلت قائلة لها:

- عمك دايون رجل ثري يا جوزي، انه يستطيع شراء اي شيء يريد.

علقت سارة بخفوت وهي تجر مقعدها بعيداً عن الطاولة:

- بما في ذلك الناس. عن اذنكم...

- كلا، لن نأذن لك.

هب دايون واقفاً، فاستدارت سارة ترمقه بامتعاض وهي تحس، مثل مارثا، بغروره الطاغي. اردف قائلاً:

ـ قبل ان تتركينا يا سارة، اريدك ان تعلمي باني اعتزم تنفيذ رأيي في هذا الموضوع.

اجابته بمرارة:

ـ الا تفعل ذلك دائماً؟

انحنى لها بتهذيب ورد قائلاً على سخريتها:

ـ صحيح ما تقولين. لكني اريدك ايضاً ان توافقي على ترتيباتي.

تحركت شفتاها من دون كلام ثم قالت:

ـ لا تستطيع ارغامي على الذهاب معك يا دايون، مهما استعملت من انواع التهديد.

رد بنظرة قاسية:

ـ لا اعتزم تهديدك، يا سارة. اريد فقط ان اوضح بأن مارثا تدين بولائها لي اولاً... وثانياً لك. اتفهمين؟

هتفت بازدراء:

ـ اجد في كلامك تهديداً واضحاً.

ـ سارة!

هتف روجر محذراً لكنها ابتعدت بعنف عن يده المهدئة. هز دايون كتفيه باعياء وقال ازاء تحديق مارثا المغتاظ:

ـ القرار يعود اليك طبعاً.

ثم اردف كأنما خطرت له فكرة مفاجئة:

ـ كنت افكر. ربما استطعت اقناع والدي بأن يسمح لسكوت بالتنقيب في الجزيرة. اذا ذهب بمفرده، فلا اجد ما يمنع ترتيب الأمر.

تجاهل استحسان روجر المنفعل وتابع يقول:

ـ قد يكون من المناسب لنا جميعاً ان نقضي بعض الوقت في الفيللا.

سحبت مارثا بصرها بعيداً عنه وخفقات قلبها تطن في اذنيها. اوه، انه بارع، فكرت في نفسها، بارع جداً! لقد دعا روجر الى زيارة الجزيرة كي يحطم فرصة سارة الوحيدة في البقاء بمفردها في لندن. فهي لن تستطيع

الاعتناء بنفسها من دون مساعدة روجر. كان دايون يذيب بالتدريج اية معارضة قد تصدر عن اختها.

رأت سارة تنظر اليها عبر الطاولة فادركت ان الفكرة نفسها قد خطرت لها. لكن سارة ليست زوجته، وبالتالي، لا تزال تحتفظ بخيط من الاستقلالية.

اعلنت سارة بارتجاف وعصبية:

ـ ادرك ما تحاول ان تفعله يا دايون. انك تظن ان مغادرة روجر سترغمني على الحذو حذوه!

سألها دايون بهدوء:

ـ الن تفعلي ذلك؟

كانت جوزي تنقل بصرها بينهم غير مدركة لمعظم ما يقال.

ـ كلا. انا... هناك امرأة تعتني بجوزي، السيدة بينيت. سأجعلها تأتي الى هنا... عندما احتاجها.

ـ اوه، سارة...

بدأت مارثا تحتج بعجز لكن جوزي لم تراع لياقة امها فهتفت ببراءتها المعهودة:

ـ لكن السيدة بينيت سترفض المجيء في غياب الماما. تعلمين ما قالته حول...

ـ كفى يا جوزي.

حاولت مارثا ان تسكتها الا ان دايون قال كلمته الأخيرة:

ـ سارة، ما رأيك لو قلت... ان الاذن للسيد سكوت بزيارة الجزيرة، يتوقف على قبولك لهذه الترتيبات؟

تأوه روجر لكن دايون تابع يقول:

ـ هل تطاوعك نفسك على ان تحرميه من هذه الفرصة، بعد كل ما فعله من اجلك؟

وهنا، ادركت مارثا ان سارة لن تحرم روجر من فرصته.

٦ – انه مصمم بالفعل على متابعة العلاقة كأن شيئاً لم يكن! لا تصدق هذه الحقيقة مهما كانت نواياه، فلن تدعه يستغلها على هذا النحو...

أصغت مارثا الى ضحكات جوزي المنبعثة من حوض السباحة وتململت على المقعد الصيفي المستطيل. كم ادهشتها السهولة التي تكيفت بها جوزي مع اجوائها الجديدة. لا بد انها تشبه والدها اكثر مما تظن. لقد اندمجت في حياة الفيللا مثل اندماج البطة مع الماء، كما ان بشرتها بدأت تفقد شحوبها السابق.

بالطبع، انهما مدينتان الى أليكس بالكثير، فكرت مارثا حين سمعته يداعب جوزي ويراشقها بالماء. لولا رفقته، لكانت ايامهن الأولى في الجزيرة خاوية تماماً. ليست متأكدة من اكتشافه لهوية جوزي الحقيقية، لأنها لم تبحث الأمر معه، لكن علاقتهما تحسنت على الأقل منذ ان علم بعزم دايون على استرجاعها. في الأمسيات، لدى عودة روجر من منطقة الاستكشاف في سيموس الواقعة في الجانب الشمالي من الجزيرة، ولدى اجتماعهم لتناول العشاء في الباحة المرصوفة، كانوا يتبادلون الأحاديث العامة.

لو كان دايون هنا، لاختلفت الأمور بالطبع، لكنها غفلت عن ان انهماكه في العمل لن يسمح له الا باهتمام روتيني بوضعهم، فباستثناء مخابرة هاتفية واحدة، اجراها في اليوم التالي لوصولهم، لم يسمعوا منه اية كلمة.

صمته اراحها، من جهة، اذ مكنها من تركيز وضعها بمنأى عن القلق والتساؤل عما قد يطلبه منها. مع ذلك، كانت تفضل احياناً لو انها تواجه

تلك العقبة بسرعة. يجب ان تتذكر بان هذا الرجل ارتاب في ابوته لطفلته وبانه كان مستعداً للاعتقاد بان مارثا كذبت عليه من البداية. كيف ساءت علاقتهما الى الحد الذي اوجب ذلك الحوار المخجل؟

زياراتها للندن لم تساعد في تحسين العلاقة، بل كانت البذار الذي انطلقت منه ظنون دايون. لكن كيف توقع منها ان تتخلى عن سارة بعد زواجهما، بالرغم من معرفته بالعلاقة الأخوية الوثيقة التي كانت تربط بينهما؟ انذاك، توقعت سارة ان تزورها، ولأنها رفضت المجيء الى اليونان اضطرت مارثا ان تسافر بنفسها الى انكلترا. ظنت انها تتفهم موقف سارة المتعض تجاه رؤيتها لدايون، فهي انجذبت اليه كثيراً في البداية، لكن، لا ريب ان تفضيله لمارثا، اصابها بصدمة صعب عليها احتمالها. الا ان نفور سارة من دايون ما لبث ان قسا وفاق حدود الامتعاض، وعندما بدأت علاقتهما الزوجية بالتفكك، كانت تلجأ الى سارة لتستمد منها الثقة والاطمئنان.

لكن، لو لم تكن سارة في الساحة لوجد دايون شخصاً آخر يجعل منه مبرراً لغيرته الرهيبة. لقد ابتاعها، واعتقد انه يملكها ويسيطر على ارادتها. ثم حملت بجوزي، في الوقت الذي اعلنت فيه انها تفضل الانتظار بضع سنوات اخرى، الأمر الذي جعله يظن بها اسوأ الظنون.

احست بألم غريب في داخلها. ألم يخطر له ابداً، ان يفكر ملياً بظروف حملها بجوزي؟ هل اعماه الغضب المجنون فلم يتساءل عن مسؤوليته في الحمل؟ هل نسي بسرعة، نهاية الاسبوع التي قضياها في مدينة دلفي؟ تلك الاجازة الخاطفة التي اقتنصها من وقته المكتظ بالأعمال كي يحاولا استرجاع العلاقة التي تشاركاها بسعادة قبل ان تفصل المشكلات بينهما؟

اعادها الى الواقع صوت مقعد سارة، وزأتها تجر نفسها على ارضية الموزاييك مقبلة نحوها. حتى سارة لم تستطع ان تتفادى دفء الشمس الملطف، فبدأ جلدها يكتسب لوناً زُهرياً. انها، لشدة بياضها، لا تسمر ابداً، انما هناك الق معافى يدفىء خديها الشاحبين.

شعرت مارثا بالفارق بين لباسها الشمسي القصير وبين البنطلون القطني الذي يغطي ساقي سارة النحيلتين والعاجزتين. استوت جالسة

وسألت اختها:

ـ هل استمتعت بفترة الاستراحة؟

اوقفت سارة مقعدها قرب مقعد مارثا، ثم فتحت زراً آخر في قميصها القطني واعلنت بتذمر:

ـ الطقس شديد الحرارة. لن اعتاد عليه ابداً، حتى لو مكثت هنا مليون سنة!

قالت مارثا متنهدة:

ـ ستعتادين عليه طبعاً. لم لا تعملين بنصيحة روجر وتسبحين في الحوض؟ ان الماء...

ـ ان كنت تظنين اني سأجعل نفسي اضحوكة بارتداء ثوب البحر، فأنت تخطئين كثيراً. تعلمين سخرية روجر، انه لن يدعني انسى ذلك ابداً.

ـ اوه، هذا ليس صحيحاً.

ثم انحنت وضغطت على ذراع سارة قائلة:

ـ ان روجر مولع بك وانت تعلمين ذلك. انه يفعل ذلك من باب الاغاظة لأنك تقعين دائماً في مصائد مداعباته البريئة.

ردت سارة باستنكار:

ـ لو لم تكوني زوجة دايونيسوس ميكونوس لما اظهر نصف الود الذي يظهره.

هتفت مارثا بصبر نافد:

ـ هذا ليس صحيحاً بالمرة! يا الهي! اتظنين حقاً، ان روجر قضى السنوات الخمس الفائتة في انتظار ان يعود دايون الى حياتي؟

ـ لا يمكنك الانكار باننا جئنا الى هنا بناء على تشجيعه.

صمتت مارثا ثم وافقتها قائلة بتمهل:

ـ نعم. هذا صحيح. لكن دعينا نقر ايضاً بانك المسؤولة الوحيدة عن وجود روجر هنا.

ـ اعرف ذلك. لكن بالرغم من...

قاطعتها مارثا بصوت متوتر:

ـ سارة، الا يمكنك فقط، ان تحاولي الحصول على شيء من هذا؟ الحق معك في ان روجر شجعني على الكتابة الى والد دايون، لكنك تعلمين اني سأضطر، ان عاجلاً او آجلاً، الى اطلاع دايون على الحقيقة.

ـ لماذا؟

ردت مارثا محدقة اليها باستغراب:

ـ لماذا؟ لأنه والد جوزي. يجب ان افكر فيها. صحيح انها ابنتي، لكن دماء دايون تجري في عروقها ايضاً. كيف سيكون رد فعلها بعد عشر سنوات مثلاً، اذا اطلعت على الحقيقة من شخص غريب؟

قالت سارة بعد تردد:

ـ اعتقد انك تستخفين بكرامتك وبكرامة جوزي. لو كنت مكانها لشعرت بكره تجاه الرجل الذي تخلى عن امي عند ولادتي.

علقت مارثا متضايقة:

ـ لكن دايون لم يفعل ذلك. انا تخليت عنه.

ـ لانه انكر ابوته للطفلة!

ـ اوه، سارة! لم يكن الأمر بسيطاً الى هذا الحد. انه... لقد ارتاب في الأمر. كان يعرف باني ارى روجر اثناء وجودي في لندن، ولم يهتم بالتوصل الى الحقيقة، اي ان روجر كان يذهب ليراك انت بالذات.

هتفت سارة متوردة الخدين:

ـ هذا ليس صحيحاً!

ـ هذه هي الحقيقة. لقد توهم دايون، بشكل ما، اني كنت اتردد على لندن كي ارى روجر، ولما رأى شعر الطفلة الأحمر... لم يتمهل ويفكر بأن شعرك احمر ايضاً، وان الاطفال يفقدون، عادة، الشعر الذي يولدون به.

قالت سارة، ووجهها لا يزال متوردا:

ـ لكنك اخبرته ذلك!

رمقتها مارثا بنظرة جانبية وقالت متنهدة:

ـ تعلمين ما حدث يا سارة. انك تدركين مبلغ عنادي احياناً. كان من الجائز ان اخبره، بعد فترة من التفكير او لو انه عاد ثانية ليسترضيني... لكنه لم يرجع. اخبرني ان عائلته منعته من العودة، وانهم اقنعوه بأن

يستعمل انشغاله كمبرر ملطف للموقف. يا له من مبرر!

علقت سارة باصرار:

ـ ما زلت اعتقد ان النتيجة كانت لصالحك. لا ادري لماذا تزوجته في الأساس.

هتفت مارثا برأس مرفوع:

ـ لأني احببته!

ـ احست باقتراب اليكس وجوزي وهما يعبران الباحة حفاة.

لم يظهر اليكس دلالة على انه سمع عبارتها الأخيرة، اما جوزي، المتغمسة كعادتها في عالمها الخاص، فهتفت حالما لاحظتها مارثا:

ـ ماما، ماما، صرت اسبح، صرت اسبح! عمي اليكس علمني السباحة!

نهضت مارثا عن المقعد بجهد جبار وقالت مجارية حماسة ابنتها:

ـ احقاً؟ هذا رائع يا حبيبتي!

ثم استدارت الى اليكس وسألته:

ـ اصحيح ما تقول؟ هل تعلمت السباحة فعلاً خلال بضعة ايام؟

اجابها اليكس مبتسماً بتواضع:

ـ لديها قدرة طبيعية على السباحة.

وتابعت جوزي بافتخار:

ـ سبحت عبر الحوض حتى نهايته.

قال عمها مداعباً:

ـ لنقل انك بقيت عائمة.

شد خصلة من شعرها المبلل الطويل فاستدارت اليه وجعدت انفها جواباً على ملاحظته.

قالت مارثا باسترخاء بعدما خف التوتر بينها وبين سارة:

ـ انه خبر رائع! اذا سقطت في الحوض صدفة، فلن نقلق عليك. لن تغرقي مهما حدث.

استدار اليكس الى سارة وقال يحييها بتهذيب:

ـ صباح الخير. انه يوم رائع آخر، اليس كذلك؟ الن تغيري رأيك

وتشاركيني السباحة؟

هزت رأسها وقلصت شفتيها بتمرد. انما لا يسعها ان تقابل عطف اليكس بوقاحة، لذا اجابته ببسمة بسيطة:

ـ شكراً، لكني افضل الا افعل. اني مسرورة بالجلوس هنا.

كانت كذبة واضحة، لكن اليكس لم يجادلها. استأذن بالانصراف بحجة اجراء بعض المخابرات الهاتفية. راقبت جوزي ابتعاده بندم خفيف ثم استدارت الى امها وطلبت منها بلهفة ان ترافقها الى حوض السباحة كي ترى مهارتها.

ـ هل تأتين معنا يا سارة؟

سألتها مارثا الا انها كررت رفضها وتناولت المجلة التي كانت قد دستها في زاوية المقعد. هزت مارثا كتفيها بأسف وتبعت ابنتها الى البركة.

سبحت جوزي مرتين عبر الحوض ثم بدا عليها التعب، فاقترحت مارثا ان تذهبا الى القرية بالسيارة. كان اليكس قد وضع سيارة تحت تصرفها، فاستعملتها مرتين منذ مجيئهم حيث اصطحبت سارة وجوزي في نزهتين ضمن الجزيرة. الطرقات لم تكن جيدة... دروب ضيقة في بعض الأماكن تتسع فقط لعربات النقل القديمة، لكنهن استمتعن بجمال الجزيرة، وقدّرن نعمة هدوئها وانعزالها.

رحبت جوزي بأن تستبدل السباحة برحلة الى القرية، ودعت مارثا اختها لمرافقتهما، فرفعت سارة بصرها عن المجلة متضايقة وقالت مرددة شكواها السابقة:

ـ الطقس حار جداً. اذهبي انت، ومبروك عليك الحر والعرق. انا افضل الجلوس في الظل، والاستمتاع بهبات النسيم القليلة.

ـ سارة، انك لا تبذلين اي جهد للتكيف...

ـ ليست لدي اية نية في التكيف. لم ارغب في المجيء الى هنا، كما لا اعتزم البقاء، بغض النظر عما تقررين فعله.

قادت مارثا السيارة بذهن مشتت. كانت تأمل، انه متى جاءت سارة الى هنا، وبدأت تستمتع بدفء الجزر واجوائها الباعثة على الاسترخاء، فلا بد ان تحاول استغلال حسنات الوضع قدر الامكان. لكن سارة، كعادتها،

اتخذت موقفاً سلبياً من كل شيء.

لحسن الحظ، لم تشعر جوزي باضطراب امها، واشارت بانفعال الى حمار مغطى الرأس بقبعة من الازهار فيما اذناه تبرزان من خلال القش. كما لفتت نظر امها الى صناديق الفاكهة والخضار التي كان الحمالون ينزلونها من مركب نقل. قفزت على مقعدها بحماسة وسألت امها:

ـ ماما، هل يمكننا ان نتوقف كي نراقبهم عن كثب؟

سايرتها امها، واوقفت السيارة على رصيف الميناء. طاب لها ان تراقب تحركات البحارة البطيئة الهادئة. فهنا، بعيداً عن الفيللا، تستطيع التصور بانها في اي مرفأ من مرافىء البحر الأبيض المتوسط، وفي منأى من المشكلات الناجمة عن آل ميكونوس.

لم تقنع جوزي بالمراقبة من خلال النافذة، فسألت بالحاح:

ـ الا نستطيع الترجل يا ماما؟ لا يمكنني رؤية شيء!

اعلنت مارثا بامتعاض:

ـ لا اظن انك سترين اكثر مما ترين من هنا.

لكنها وافقت على النزول فانطلقت جوزي تقفز فرحة على الرصيف.

كانت حرارة الشمس تؤذي البصر، وحتى نظارة مارثا الداكنة لم تحمها من الوهج المنعكس على المياه الشديدة الزرقة. وقفت تظلل عينيها بيدها، غير شاعرة بالفتنة الاخاذة لجمالها الاشقر. لكن جاذبيتها لم تخف بتاتاً على الرجل الذي هبط لتوه من السفينة. استأذن البحارة الذين كان يتكلم معهم وتوجه صوبها وسترته ملقاة على كتفه بشكل عفوي.

رأت مارثا الرجل يمشي نحوها لكنها لم تعره اهتماماً فورياً، مع انه من غير المألوف في المرفأ ان يرتدي شخص ما ثياباً رسمية. لم تقرنه بزوجها، اذ عندما يصل دايون، تعرف مسبقاً بقدومه، حيث تسمع هدير الهليكوبتر ثم ترى اليكس يهرع الى المدرج ليعود به بالسيارة. حسبته واحداً من رجال الأمن. عاد بصرها الى جوزي ثم راقبت باهتمام سائق رافعة، وهو يوجهها بمهارة ميكانيكية فائقة.

لما وصل الرجل الى مكانها، تحققت من شخصيته وهتفت اسمه بشهقة مندهشة. نزعت نظارتها كي تتأكد اكثر، فمال رأسه بتحية ساخرة:

ـ انا هو بعينه.

ثم قبض على كتفيها النحيلتين على مرأى من رجال المرفأ، وجذبها اليه.

ـ دايون... كلا.

لكنه اسكتها بعناق مفاجىء فأزال من ذهنها كل تفكير في المقاومة.

ـ استرخي. ان اصدقاءنا يظنون بانك جئت لاستقبالي. لا يجب ان نخيب املهم، اليس كذلك؟

عندما افلتت منه اخيراً، كانت متوردة الخدين، لاهثة الانفاس، وآثار اصابعه تبدو بوضوح على ذراعيها. تطلعت اليه بغضب، بحثاً عن سبب معين لهجومه المستغرب، الا انها لم تر في وجهه سوى تأمل ساخر ونظرة انتصار فائرة.

رفعت يديها المرتجفتين الى شعرها المعقوص كي تتأكد من عدم تبعثره. سألته بصوت منخفض:

ـ اهذا ما تتوقعه مني؟ في هذه الحال...

ـ اين جوزي؟

قاطعها بدماثة وهو يتلفت حوله بثقة الرجل المسيطر، ويبتسم مجيباً على نظرات البحارة المعبرة عن الاعجاب. فكرت مارثا بمرارة، انهم لم يفطنوا الى المعركة غير المتكافئة التي شاهدوها قبل هنيهة. كيف يستطيع دايون ان يتصرف بعاطفية حارة، ويبدو، في اللحظة التالية، خالياً من العواطف؟ استنتجت متحسرة، بأن عاطفته مزيفة. كان يظهر تملكه لها وقدرته على اخضاعها.

في تلك اللحظة، وقع بصر جوزي على والدها. اطلقت صرخة ابتهاج واتجهت نحوهما تقطع الرصيف قفزاً. بدت سعيدة بعناق دايون الحار، فصعدت مارثا الى السيارة وهي تشعر بغضب عاجز. تعمدت الجلوس خلف المقود في انتظار ان يعارض دايون تصرفها لكنه لم يفعل. صعد الى جانبها واجلس جوزي على ركبته.

قالت جوزي طارحة السؤال الذي اوشكت مارثا ان تطرحه:

ـ لماذا لم تعلمنا بقدومك؟

اعلن وهو يرمق زوجته بنظرة جانبية:

- اردت ان افاجئكما...

انبأته جوزي بفخر:

- اليوم تعلمت السباحة. علمني اياها عمي اليكس. هل ستسبح معي، يا عمي دايون، عندما نصل الى بيتنا؟

- بيتنا؟

ردد دايون كلمتها بتأن فأطبقت مارثا شفتيها بغضب. كيف ستتمكن يوماً، من ان تتقبل وضعها الغامض هذا، حتى من اجل جوزي؟ لا يسعها ذلك... بل لا تريد ان تصبح لعبة في يد دايون. انه يخطىء كثيراً اذا ما اعتقد بانه يستطيع معاملتها تبعاً لارادته... كما تصرف في المرفأ. لقد عادت اليه من اجل جوزي، فحسب. هذه الليلة، يجب ان توضح موقفها بطريقة ما. ارهبتها الفكرة، خصوصاً حين تذكرت استجابتها العاطفية للمسته. لكنها ستوضح موقفها. يجب ان تفعل، كي تنعم براحة البال...

ابتهج اليكس بقدوم اخيه، كما رحبت مارثا، لأول مرة، بعجز سارة، اذ اتاح ذلك لكليهما فرصة الهرب من مواجهة بعضهما. اوصلت سارة الى غرفتها ثم توجهت الى الجناح الذي تشغله. انها ليست بحاجة الى تعليقات اختها الحادة كي تدرك ان الوضع سيتغير بعد مجيء دايون. كما انها تحتاج الى وقت كي تستعد لمواجهة زوجها مرة اخرى. استلقت على غطاء السرير الدمقسي وحدقت الى السقف بتعاسة.

بعد مضي ربع ساعة انفتح الباب فهبت ترتكز على مرفقيها وتنظر حولها باستغراب. لا احد يدخل الى الغرفة من دون استئذان، باستثناء جوزي، ربما، لكن الذي اقتحم الغرفة لم يكن جوزي، بل دايون، الذي وقف لحظة يتأمل وجهها المتوتر ثم اغلق الباب بصمت مثير للاعصاب.

لم يخطر لمارثا من قبل ان تتساءل عن هوية صاحب الجناح، فهذه ليست الغرف التي شغلتها سابقاً مع دايون، وهكذا افترضت انها خاصة بالضيوف.

الآن فقط، ادركت انه جناح دايون، وان غرفة الملابس المجاورة تخصه وحده.

مع ذلك تظاهرت بالجهل وهتفت باستنكار:

- ماذا تفعل هنا؟ اني احاول الاسترخاء. افضل ان اترك وشأني، اذا سمحت.

اجابها بنظرة متعجبة وسار عبر الغرفة. القى سترته على كرسي منخفض وفك ازرار صدريته. ثم سار الى النافذة وحدق من خلالها بصمت. تصلبت اعصابها مثل اوتار الكمان، واخيراً استدار اليها.

- اخبرني اليكس انك استقررت هنا على نحو جيد. يسرني ذلك. انت وجوزي تبدوان اكثر عافية، وقد تكتسي عظامك ببعض اللحم عما قريب.

انزلت قدميها الحافيتين الى الارض واستوضحته بارتجاف:

- ماذا تفعل يا دايون؟ هذه غرفتي. هل لك ان تتركني وشأني؟

اجابها بهدوء:

- بل هذه غرفتنا معاً. ليس من صالحنا ان يتصور الخدم بأن... هناك نقصاً ما في عودتنا الى بعضنا البعض.

استجمعت كل قواها لتقول بتوتر:

- الأمر يدعو الى السخف. انا وانت... لم نر بعضنا منذ خمس سنوات، يا دايون، لقد افترقنا متخاصمين. لا يمكنك ان تتوقع مني نسيان ذلك.

وافقها بصوت مرهق:

- كلانا لا يستطيع نسيان الماضي. عن اذنك، يجب ان استحم وابدل ملابسي، بعد ذلك سنجد وقتاً اطول للكلام.

راقبت دخوله الى الحمام بحيرة وعدم تصديق. انه مصمم بالفعل على متابعة العلاقة وكأن شيئاً لم يكن! لا تصدق هذه الحقيقة. مهما كانت نواياه، فلن تدعه يستعملها على هذا النحو.

لما سمعت جريان الدوش، تحركت بسرعة البرق. اخرجت حقائبها من داخل الخزانة ثم شرعت تلقي ثيابها فيها. تنانير، فساتين، بلوزات وكنزات صوفية، حشرتها كلها فوق بعضها البعض، غير مكترثة بامكانية تغضنها... ستكويها في ما بعد. قررت ان تشارك جوزي غرفتها. جوزي

لن تمانع، واذا مانعت سوف يجدون لها غرفة اخرى.

كانت منهمكة في جمع الثياب الى حد لم تفطن معه الى توقف جريان الماء. استدارت برهبة حين خاطبها دايون بغضب:

ـ ماذا تظنين انك تفعلين؟

تقدم منها متوعداً وتابع يسألها:

ـ اتحسبين اني سأسمح لك بالمكوث في غرفة اخرى، حتى لو تمكنت من ترك هذه الحجرة؟

استقامت في وقفتها، ويداها تتمسكان بحفنة من الثياب. قبض على رسغها بعنف فسقط درعها الهش على الأرض. قالت بكبرياء:

ـ لن ترغمني على النوم هنا. يمكنني النوم مع جوزي حتى . . . حتى . . .

قاطعها بصوت بارد:

ـ حتى متى؟ حتى اعود الى اثينا، او الى ان تستعدي عاطفياً؟

قالت وهي تحاول ان تصمد امام ثورته:

ـ هذا امر بعيد الاحتمال. الا تظن ذلك؟

ضاقت عيناه وسألها بلطف خداع:

ـ الن يحدث ذلك؟

ـ لن يحدث.

ارتجفت ركبتاها الا انها شددت عزيمتها كي تواجه غضبه. ثم فقدت سلاحها حين ارخى رسغها بحركة فجائية وجذبها اليه.

ـ دايون . . .

اسكت توسلها المختنق بعناقه وعاد الارتخاء يغزو مفاصلها. كم طال حرمانها من هذه العاطفة المتأججة التي لم تجد لها مثيلاً. ارادت ان تعترض، لكن حواسها المستيقظة طغت على تعقلها.

في تلك اللحظة بالذات، ابتعد عنها فجأة وازاح ذراعيها جانباً وقال بصوت مشوب بالسخرية:

ـ الآن، اعيدي هذه الثياب الى مكانها، ريثما ارتدي ثياب العشاء.

قلصت قبضتيها لكنها لم تقل شيئاً. لاحت على شفتيه ابتسامة باردة

وسار متجهاً الى غرفة الملابس، ففكرت مارثا منذهلة، لقد فعلها ثانية، ولا مجال لها لأي تصرف مضاد.

قال متوقفاً امام الباب:

ـ على فكرة، سنعود الى اثينا بعد ثلاثة ايام.

هتفت بدهشة:

ـ نحن؟

ـ انت . . . وانا. ستقام حفلة اريدك ان تحضريها معي، كما ان امي ترغب في رؤيتك مجدداً.

شرعت تهز رأسها بمنة ويسرة:

ـ لا . . لا يمكنني ان اترك جوزي . . .

ـ لا تقلقي عليها، فقد استقدمت لها مربية انكليزية لظني بانك سترحبين بهذه الخطوة. كما آن لجوزي ان تعلم بانك لن تكوني دائماً رهن اشارتها.

هتفت منذهلة:

ـ دايون . . .

ـ سنتكلم فيما بعد.

اغلق الباب خلفه واصبحت بمفردها. اعادت ثيابها الى الخزانة من دون ان تشعر. هناك امور عديدة تحتاج الى التفكير، وعلى الاخص، الرحلة المزمعة الى اثينا. لماذا يريدها ان ترافقه الى تلك الحفلة؟ ولماذا ترغب امه في رؤيتها ثانية؟ تقلصت اعصابها رهبة من مواجهة والديه، بعد الاسلوب الذي استعمله ارسطو معها هنا، في الفيللا.

استعرضت ترتيبات دايون الاخرى بحماسة اقل. مربية انكليزية! ماذا يقصد؟ من تكون المرأة التي استخدمها، ومتى يتوقع وصولها؟ ثم، ماذا ستقول سارة حين تكتشف ان مارثا ستتخلى عنها، بقرار من دايون؟

جلست على حافة السرير وغطت وجهها بيديها. كانت لا تزال جالسة هكذا عندما عاد دايون الى الغرفة. لم ترفع بصرها اليه، لكن موقفها الموحي بالانخذال حال دون شفقته عليها، وهي في اي حال، ترفض هذه الشفقة. بدا في سترته المخملية الخضراء وبنطلونه الأسود مثالاً لملك المال

الذي تعرفه. تملكها شعور عارم بالهزيمة وعدم التكافؤ. كيف لها ان تحاربه وسعادة جوزي بين يديه؟

وقفت تلقائياً فسألها متهكماً:

- هل تعتزمين ان تتناولي العشاء بهذا اللباس؟

شبكت يديها بعصبية وقالت بلهجة دفاعية:

- يجب ان اشرف على حمام جوزي.

اجاب مقطباً:

- ستعتنين بها حتى يوم غد، لأن الآنسة باول ستصل غداً، حيث تتكفل بمتطلبات جوزي الشخصية.

اعترضت بجمود:

- لكني احب الاعتناء بها شخصياً.

- قلت سابقاً انك سترافقينني الى اثينا. لا تجادلي يا مارثا. هذا ما صممت عليه.

- اليس لي رأي في الموضوع؟

- بالطبع، سأستشيرك...

- متى؟

- عندما ارى ضرورة لذلك. اما الآن فاقترح ان تفعلي ما عليك فعله. لدي اجتماع عمل مع اليكس. سنلتقي ثانية في موعد العشاء.

انغلق الباب وراءه فازداد شعورها تشتتاً وحيرة. ماذا ستفعل؟ بأية وسيلة تحاربه؟ هل كتب عليها ان تخضع له حتى تبلغ جوزي سن الرشد حيث تصبح قادرة على الاختيار بينهما؟

٧- من طبع دايون ان يتصرف بمثل هذا الكرم، لكنها رفضت الاقرار بذلك. لم يمانع مرة في ان يشاركه الآخرون في ممتلكاته... باستثنائها هي!

ايقظت مارثا اشعة الشمس المتسربة من شقوق الستائر المعدنية. لا يزال الوقت باكراً جداً، لكنها فقدت رغبتها في النوم. لا يسعها ان تستلقي هكذا، تحت رحمة القلق والحيرة المستبدين بها.

نور الصباح يشيع في الغرفة شفافية عنبرية، وستائر النوافذ الزرقاء تبدو ذائبة في الظلال. خزانة الادراج وطاولة الزينة تعكسان اشعة الشمس فيشوبهما لون ذهبي، كما ان مربعات البلاط المصقولة ترسل ذرات من الغبار الشفاف.

سارت الى حيث النوافذ، ثم التفتت خلفها صوب السرير كأنها تتوقع وجود أحد هناك. لقد امضت الليلة بمفردها، والترقب الذي سهّدها حتى الفجر لم ينجم عنه سوى السهر وقلق البال.

فتحت الستائر المعدنية وحدقت بوجوم الى الحديقة المغمورة بالالوان. احست بشيء من الغثيان والصداع. اين قضى دايون ليلته؟ هل استطاع النوم؟ اذا فعل، فعما كان يتحدث عشية أمس؟

من الحماقة ان تشعر بالخيبة، لكنها مشوشة، وعقلها المتعب يرفض ان يجد اسباباً لتغييه.

استعرضت احداث الأمسية الفائتة فلم تجد فيها ما يدعو الى الشك في نواياه. لكنها لم تقض معه وقتاً طويلاً لانهماكها في رعاية جوزي التي توعكت قليلاً.

لا ريب ان الحر وكثرة الرياضة كانا السبب في اضطرابها الصحي حيث

أمضت مارثا معظم الوقت في تلبية متطلباتها. اقترح دايون ان تتولى احدى الخادمات رعاية الطفلة لكن مارثا عارضت اقتراحه بشدة. اما سارة، فهبت الى مناصرة اختها، كعادتها كلما اختلف دايون ومارثا حول رأي ما:

ـ ان الطفلة تحتاج الى أمها في ظروف كهذه.

وتابعت سارة تخاطب دايون:

ـ لا تتوقع من مارثا ان تترك جوزي في عهدة أناس غرباء فهي تعتني بها منذ زمن طويل، وتربطهما صلة وثيقة جداً.

اجابها دايون بصوت بارد:

ـ معك حق، ان صلتهما وثيقة اكثر مما يجب. لكنني اعتزم تغيير ذلك في المستقبل القريب.

سمعت مارثا عبارته وهي تبتعد عن المائدة فاحست بذعر. أهذا السبب أصر على ان ترافقه الى اثينا؟ هل يعتزم فصلها عن ابنتها بطريقة تدريجية، ولذا كان قصده من استخدام المربية الانكليزية ان تحل مكان مارثا في نهاية المطاف؟ هل ان خطة استرجاعها هي مجرد ترتيب مؤقت كي لا تصاب جوزي باضطراب عميق عندما يحصل الانفصال النهائي؟

شغلتها هذه الافكار المقلقة فلم تقدر ان تتصرف بموضوعية، الامر الذي جعل جوزي تتجاوب مع تدليل أمها المفرط بشراهة طفولية، حيث استغلت لهفة مارثا وضاعفت شكاواها.

عندما جاء اندروس ليخبر مارثا ان جوزي تطلب حضورها للمرة الرابعة، فطن روجر الى دلع الطفلة. كان يحدث اليكس عن الحفريات القائمة في اكروتيري، فقطع الحديث ليقبض على ذراع مارثا المهرولة، وهتف بها:

ـ ألا ترين انها تتلاعب بعواطفك من باب الانانية؟ انها تعرف ان زوجك هنا، وبالتالي تريد الاستئثار باهتمامك. كفي عن الرضوخ لها.

سمعه دايون، فنهض عن كرسيه وقال:

ـ الحق معك. سأذهب واكلمها. مارثا، عودي الى المائدة. اتركي لي هذه المهمة.

ـ كلا...

لكن روجر ظل ممسكاً بذراعها فعجزت عن ايقاف دايون الذي سارع الى دخول البيت. قال لها روجر بحزم وعيناه تحذرانها:

ـ استرخي. دعي دايون يكلمها. انها تحتاج الى هيبة رجل. أليس كذلك؟

قالت سارة بغضب:

ـ تقصد هيبة والد؟ مارثا، الا ترين ما يفعله دايون؟ انه يحاول سلب مكانتك في حياة جوزي...

هنا، تدخل اليكس فقال مستنكراً:

ـ هراء! الا يحق لأخي ان يتكلم مع ابنته؟ انها ابنته، حتى انا استطعت رؤية هذه الحقيقة!

اجابته سارة باستنكار مماثل:

ـ خسارة انك لم تر هذه الحقيقة قبل اليوم، فمنذ سنوات طويلة ومارثا ترعى جوزي من دون مساعدة من آل ميكونوس. لماذا تفترض انها اصبحت الآن بحاجة الى هذه المساعدة؟

قالت مارثا باعياء:

ـ سارة، ارجوك...

لكن اعتراضها ذهب سدى، اذ نهض اليكس واقفاً وقال بخشونة:

ـ ان اختك هي التي تركت اخي وليس العكس. اتعلمين ان الصدمة اوشكت ان تقتله؟ اتعلمين ايضاً، انه خالف كل وصايا العائلة حين جاء بك الى هنا؟

تخلصت مارثا من قبضة روجر وعادت الى مقعدها. لكن الجو تكهرب وما عاد قابلاً للاحاديث العادية. رحبت مارثا بانتهاء العشاء حيث تمكنت من الهرب. كان دايون قد رجع وابلغهم ان جوزي تحسنت بشكل ملحوظ، وعندما تسللت الى غرفتها لتطمئن الى حالها وجدتها مستغرقة في النوم. بدا واضحاً ان الطفلة استجابت الى كلام دايون. احست مارثا بانخفاض في معنوياتها حين دخلت الى غرفتها التي فقدت حصانتها السابقة.

لكن هذه الحصانة استمرت طيلة الليل، ونعمت بها مارثا، مع ان

خواطرها لم تعرف الهدوء. ان تحذير اليكس الشاجب، اضافة الى موقف زوجها المذل، اشعراها بيأس طاغ. تبيّن لها خطأ ظنها بأن اليكس قد سامحها. كان يجاملها من اجل جوزي، الضحية البريئة في لعبة القدر هذه.

الآن اطل الصباح، واليوم ستصل المربية الانكليزية، فيما تشعر بعجزها الكلي عن معالجة الموقف. انها لا تعرف شيئاً عن هذه المربية. أهي شابة أم كهلة؟ ودودة ام متسلطة؟ مجربة ام ساذجة، على غرارها هي؟

ليست لديها أية وسيلة لاثبات ظنونها، اذن لا جدوى من هذا القلق العقيم. ثم، حين وعت بانها في حاجة الى شيء ينشط ذهنها، ارتدت المايوه الازرق الذي ابتاعته في السنة الماضية، ودثرت جسمها باحدى مناشف الحمام الكبيرة ثم غادرت غرفتها.

رأت شخصاً يسبح في الحوض، فخطر لها ان تتراجع قبل ان يراها ذلك السابح، كائناً من يكون، الا انها تذكرت تصميمها الجديد على عدم الاستسلام للمخاوف. تشجعت بالرغم من ارتجاف ركبتيها، وعبرت الممر المزدان بالعرائش، الذي يؤدي الى حوض السباحة.

تبين لها فوراً ان السابح ليس زوجها، بل سلفها اليكس الذي كان يعوم متمدداً على بطنه. وحالما رآها انقلب على ظهره وبدأ يسبح بتكاسل في اتجاه الحافة. ناداها مبتسماً باسترخاء:

ـ صباح الخير يا مارثا. هل ستنضمين الي؟

ترددت للحظة عابرة ثم ازاحت المنشفة وتركتها تسقط على بلاط الموزاييك المحيط بالبركة. سألته وهي تتقدم الى الحافة:

ـ أتريد رفيقاً؟

ـ رفقتك انت؟ بالطبع اريدها.

ـ بالرغم مما قلته مساء امس؟

صعد الى الحافة ووقف الى جانبها. استوضحها وجسمه يقطر بالماء المالح الذي يُضخ من البحر:

ـ مساء أمس؟ ماذا قلت مساء امس؟

قالت وهي تغطس اصابع قدميها في الماء البارد:

ـ انت تعرف. بخصوص... وجودي هنا.

ـ وجودك انت؟ لا أفهم ما تقصدين. انا سعيد بوجودك. هذا مكان انتمائك. كان دائماً هكذا.

ـ لكن، عندما كنت تكلم سارة...

ـ آه، سارة.

تقلص فمه فوراً، وعادت ترى تعبير الاستنكار الذي رأته مساء امس. اردف قائلاً:

ـ عندما تتكلمين عن نفسك لا تقرني اختك بك. لقد استعانت بكل قواها كي تحطم زواجك. هي التي لا يجب ان تكون هنا. هي التي تمقتها عائلتي وتنقم عليها.

لم تقدر ان تصد رعدة القلق التي هزت كيانها. من الواضح ان آل ميكونوس جعلوا من سارة كبشاً لمحرقتهم. لم يصدقوا ابداً بأنها هجرت زوجها بمحض ارادتها، لم يصدقوا بانها فضلت الحرية على معاشرة رجل ارتاب في اخلاصها الى حد انكر معه أبوته لطفلته! لقد احتاجوا الى شخص يحملونه المسؤولية، فوضعوا اللوم على سارة.

قال اليكس بعد قليل:

ـ كفى. دعينا من التفكير في الماضي كي لا نفسد نهارنا. لقد أوصانا دايون بأن ننسى الماضي وهذا ما سأفعله.

يستطيع اليكس، احياناً، ان يكون غاية في الجدية، وها هو يتطلع اليها بتركيز ملهوف، ذكّرها بدايون عندما ينظر اليها بتوسل يحرك أوتار قلبها.

لم تشأ ان تطيل انتظاره فاجابته بصوت خفيض:

ـ حسناً.

قال ملامساً خدها باصابعه المبللة:

ـ تبدين قلقة كثيراً، لا تخافي، كل شيء سينتهي على خير، سترين.

ودت مارثا لو تصدقه، لكنها استطاعت على الأقل، ان تنسى مشاكلها في غمرة استمتاعها بالسباحة، خلال ربع الساعة التالية. كانت المياه غاية في الصفاء والخفة، حيث لا يحتاج المرء الى تحريك ساقيه. يجب على سارة ان تجرب السباحة فيها. احتفظت بهذه الفكرة لنفسها خشية ان تستفز

اليكس من جديد.

خرجا من الماء واستلقيا على جانب الحوض. كانا يناقشان الدوافع التي جعلت اليكس يتخلى عن التدريس الجامعي عندما أطل دايون. خطر لمارثا انه سيجد في مشهدهما ما يبعث على ارتيابه. هي مستلقية على ظهرها كي تجفف الشمس جسمها الرطب، واليكس مضطجع قربها وهو يشرح الاسباب التي جعلته يطيع أباه. لكن زوجها لم يظهر ما يدل على تضايقه، بل وقف فوقهما حيث بدا كامل الرجولة في بنطلون كتاني فاتح وقميص قطنية ضيقة.

لم ينهض اليكس من مكانه وحياه قائلاً:

ـ اهلاً، دايون. حسبنا انك ستنام طيلة النهار. أليس كذلك يا مارثا؟ انظر، ان زوجتك سبحت مسافة تفوق مرتين مسافة قطع مضيق الدردنيل.

ـ اليكس...

رمقت دايون بنظرة متكدرة وهي تنهض جالسة، لكن وجه دايون لم يكشف شيئاً مما يدور في رأسه. جلس على البلاط الى جانبهما وعلّق بقوله:

ـ أرى انها تبدو مجهدة قليلاً. لكنها ستجد الحياة اسهل بعد وصول الآنسة باول.

رفضت مارثا ان تواجه التحدي الملتمع في حدقتيه السوداوين، لكنها سمعت اليكس يسأله عن موعد وصول المربية وانتظرت جواب دايون بتوتر، قال اخيراً:

ـ عند الظهر، على ما اظن. انت تعرفها بالطبع.

اتجه بصرها الى اليكس فأومأ برأسه قائلاً:

ـ هذا صحيح، تعرفت على السيدة. انها جذابة الشخصية. انا أكيد انك ستحبينها.

كانت لديها ثقة مماثلة بأنها لن تحبها، لكنها لم تستطع الجهر بذلك. نهضت واقفة من دون مساعدة، ثم قصدت مكان المنشفة لتلف بها جسمها.

نهض اليكس بدوره واحست بنظراتها تتسلط عليها وهي تلف المنشفة

حولها. تساءلت عن تصورات اليكس، هل ظن انهما قضيا الليلة معاً، وان تصرفهما الحالي هو نتيجة لسوء تفاهم حصل بينهما؟ مهما يكن الأمر، فهي الآن بحاجة الى رفقة جوزي السلسة، أو رفقة روجر، أو حتى رؤية سارة، كي تستعيد شعورها بالتوازن، ابتسمت لهما ابتسامة خفيفة وغادرت المكان.

جاء دايون الى غرفة النوم وهي تسرح شعرها بالفرشاة استعداداً لتجديله. ساءها ان يدخل عليها من دون دعوة او استئذان، غير انها نجحت في اخفاء امتعاضها واستمرت في مهمتها متجاهلة وجوده. لن تعطيه مجالاً للسخرية منها بسؤاله عن اسباب تغيبه في الليلة الفائتة.

راقب حركاتها المضطربة لبضع دقائق ثم أمرها بقوله:

ـ دعيه كما هو. أفضل ان ترخيه على كتفيك. افعلي هذا ارضاء لي.

عبارته هذه، زادتها اصراراً على تجديله. تجاهلته وحاولت من جديد ان تجزىء تلك الغلالة الحريرية الى ثلاث خصل متساوية. ثم تجمدت بلا حراك عندما وقف خلفها مباشرة.

ردد بصوت هادىء:

ـ قلت لك ان تتركيه.

ابعد الفرشاة عنها، ثم ازاح يديها جانباً فانسدل شعرها ناعماً بلونه الذهبي والعسلي. تابع يقول:

ـ ان كنت تصرين على ربطه بسبب الحر فاستعملي شريطة او قطعة من المطاط. يعجبني كثيراً مظهرك الفتي، لكني لا احب ان تسرحي شعرك على هذا النحو الصارم.

ـ لا يهمني رأيك.

ـ أحقاً؟ لكنني احب ان أمرر اصابعي فيه... وان ادفن وجهي في نعومته...

قرّب رأسه من عنقها. شعرت بأنه ينوي التلاعب بعواطفها من جديد فأشعل الذعر اعصابها. اطلقت صرخة قصيرة وابتعدت عنه بعنف. رأت نظرته المتسلية منعكسة أمامها في المرآة.

تأملها بسخرية وسأل:

ـ ما بك؟ انك لا تمانعين في ان المسك، أليس كذلك؟ أم انك مستاءة، ربما، لأني لا استغل حقوقي الزوجية؟

صفعته بتلقائية محضة. آلمتها اصابعها لشدة الصفعة فاخذت تفركها لتزيل الألم. ماذا سيفعل الآن؟ تساءلت وبصرها يقفز في ارجاء الغرفة ثم يعود الى خده المصفوع بندم متردد.

لمس آثار أصابعها التي احدثت علامات بيضاء وباردة على جلده الساخن. قال أخيراً:

ـ هل تشعرين الآن بتحسن؟ هل لطفت هذه الصفعة المرارة التي تحسينها عندما اثبت لك انك لا تملكين مناعة ضدي، بغض النظر عما قد ترغبين فيه؟

ضاقت انفاسها ثم قالت بصعوبة:

ـ تظن انك غاية في المهارة، لمجرد انك تستطيع... اثارتي. حسناً، انا امرأة حرة ولست طفلة. انا، مثلك، لدي احتياجاتي ورغباتي.

انتظرت جوابه برهبة لكنه احجم عن المجادلة. انحرفت شفتاه بازدراء وسار الى الباب بتمهل ثم غادر الغرفة صامتاً.

بعد انصرافه شعرت بخواء وارهاق. لقد امضت ليلة منهكة، احتاجت بعدها الى المحبة والتعاطف لا الى هذه المعارك الحسية المتواصلة. مع انها قد تنكر انجذابها اليه، الا انه من الغباء ان تتظاهر بعكس ذلك في حين يستطيع ان يفرض عليها سلطة هائلة كهذه.

هكذا كانت الحال منذ البداية. فكرت بانهزام وبعجب من معاندة القدر. اثناء الاجازة التي قضتها وسارة في جزيرة رودس، تعمدتا الابتعاد عن اي ارتباط عاطفي. لكن في الليلة الاخيرة، عندما اقنعتها سارة بأن تقبلا دعوة النادلين العاملين في الفندق، لم يكن بوسعها ان تتكهن بما حدث لاحقاً. قال النادلان انه يوجد نادٍ ليلي، في احدى القرى الصغيرة، فوجدتا في الذهاب فرصة للاستمتاع. لكن النتيجة جاءت عكس ذلك تماماً، لأنه خيل للشابين اليونانيين ان الفتاتين الانكليزيتين ستجاريانهما في كل ما يطلبان، وحالما اكتشفا انهما لن تفعلا ذلك، غادرا النادي فوراً، تاركين لمارثا وسارة مهمة البحث عن وسيلة نقل تعيدهما الى الفندق.

لم يكن الأمر سهلاً لعدم وجود سيارات أجرة، كما ان جهلهما باللغة اليونانية آنذاك حال دون فهم الآخرين لكلامهما.

قررتا أخيراً ان تعودا سيراً على الاقدام، لكن عندما وقعت سارة والتوى كاحلها، وعندما اتضح لمارثا انهما تسيران في الاتجاه الخطأ، بدأ يتملكهما ذعر كالذي يستبد بالمرء حين يواجه كابوساً.

تابعتا السير حتى وصلتا الى فيللا تقع في واد مشجر يبعد قليلاً عن الطريق الساحلي العام. نباح الكلاب نبّه صاحب الفيللا الى وجود غرباء على اراضيه، كما شاءت الصدفة المحضة ان يكون دايون مدعواً الى العشاء هناك، في تلك الليلة. ساءت حال سارة فعجزت عن متابعة السير، الامر الذي شجع مارثا على ان تواجه أهل البيت وتستأذن في استعمال التلفون كي تستدعي سيارة تاكسي.

تذكرت كيف هب دايون لمساعدتها فشعرت بارتخاء في اطرافها. لم يكف، آنذاك، انه اشعرها بالراحة كونه استطاع التكلم معها بالانكليزية، بل اصر ايضاً على ارجاعها الى الفندق بسيارته. لقد رفع سارة بين ذراعيه القويتين وحملها الى داخل الفيللا فيما سارع أهل البيت الى غسل كاحلها بالماء البارد قبل ان يضمدوه.

قطبت مارثا حين فكرت ملياً وتذكرت ان سارة اقنعت نفسها وقتئذ بأن دايون قد انجذب اليها. لم يخطر لها انه لم يقدم على مساعدتها الا من باب اللياقة، وانه كان سيساعد مطلق شخص مصاب بعجز مماثل. لقد افتتنت بقوة ذراعيه الرشيقتين، وبكفاءته الهادئة التي حققت الكثير بأقل قدر من الجهد.

مارثا، من جهتها، اعتبرت الحادثة نوعاً من المغامرة المسلية، قصة شيقة تتحدثان عنها بعد رجوعهما الى انكلترا، وليس شيئاً يستحق ان يؤخذ على محمل الجد. اثناء العودة الى الفندق، جلست على المقعد الخلفي في سيارة دايون الفارهة، وتحاشت التفكير في الفارق الواضح بين هذا الغريب الجذاب وبين الشابين الآخرين، كي تحصن نفسها ضد وسامته الداكنة وكي لا تعرف اسمه.

عندما جاء في الصباح التالي ليستعلم عن صحة سارة وليتأكد من انهما

تخطتا تلك المحنة بسلام، صعب عليها التهرب من تحديقه المتفحص. تكلم معظم الوقت مع سارة لكنه خصها بنظراته. ان مجرد تذكرها لتلك النظرات الناعسة يعرّق كفيها المرتعشتين.

بالطبع، لم ينته الامر عند ذاك الحد، مع ان مارثا اكدت لنفسها بانهما لن تريا ثانية، حين عادتا الى انكلترا عصر ذلك اليوم. بعد اسبوع واحد، جاء دايون الى لندن مزوداً بعنوانهما، وصار يتردد على بيتهما في ماكسويل غروف ويتصرف بعفوية كأنه عاش طيلة حياته في تلك الاجواء المتواضعة.

ابتهجت سارة في بادىء الامر لاعتقادها بانه يأتي من اجلها، وكانت تعتني عناية خاصة بشعرها ولباسها. اما مارثا، فابتعدت عن الطريق قدر المستطاع، اذ بعد اطلاعها على اسمه ومكانته، اصبحت لديها قناعة بأنه يلهو بهما ليس الا، ولم يخطر لها اطلاقاً حقيقة ان يكون جاداً في عواطفه نحوها.

الى ان جاء في احدى الامسيات ليجد ان سارة خارج البيت تحضر اجتماعاً. كانت سارة آنذاك عضواً نشيطاً في جمعية الابحاث التاريخية المحلية، تشارك روجر اهتمامه في هذه الموضوعات، كما انها كانت اخبرت مارثا ان دايون قد اضطر للعودة الى اثينا ذلك العصر وانه وعد بمخابرتها لدى عودته.

عندما فتحت له الباب، ادرك كلاهما سبب حضوره. لم يكن هناك مجال للخطأ، اذ قرأت السبب في تعبير وجهه وفي نظراته المتأججة.

هذه الذكريات آلمتها في الصميم فقضمت شفتها السفلى بقوة... كانا مفعمين باللهفة والشوق الى بعضهما، شعرت بالعجز وكانت مستعدة لأن تمنحه أي شيء يطلبه منها.

لم يكن سهلاً عليها ان تخبر سارة التي تراوح رد فعلها بين اللامبالاة الفورية وبين الاستنكار الكامل. وعندما حاولت مارثا ان تدافع عن نفسها، في وقت لاحق، انكرت سارة اعجابها السابق والجدي بدايون. اصرت على انه لا يعتزم الزواج من فتاة انكليزية، بل انه يلهو بمارثا فحسب، وعليها ان تدرك بأن اليونانيين اصحاب الملايين لا يتورطون جدياً مع فتاة تعمل موظفة استقبال.

بالطبع، اثبت الزمن انها كانت مخطئة، لكن مارثا تساءلت الآن عن المجازفات التي اقدمت عليها.

افترضت، بطبيعة الحال، ان آل ميكونوس واجهوا الموقف برعب واستهجان، فهي تختلف كثيراً عن الزوجة التي كانوا سيختارونها لابنهم الاكبر. تعرضت آنذاك لاستجوابات صارمة جداً، وبالرغم من كل شيء لم توضع عقبات في طريقهما.

وفي الواقع، تم زواجهما أخيراً برعاية عائلته التي وجهت الدعوة الى عدد كبير من الناس. ومع ان مارثا ارعبتها فكرة ذلك الاحتفال الضخم الا ان وجود دايون الى جانبها خفف الكثير من خوفها. كان يوماً رائعاً وزفافاً مجيداً، حيث احتشد المدعوون في السرادق الذي نصب في حدائق الفيللا في اثينا. تبع ذلك شهر عسل رائع، قضياه في جزيرة بالي الاستوائية الهادئة.

تنهدت الآن وتأملت صورتها المنعكسة في المرآة المتعددة الوجوه. تساءلت بكدر: هل كانت ستعيش بعيداً عن دايون لولا وجود سارة؟ هل كانت ستحتفظ باستقلاليتها من دون مساعدة اختها؟ مهما يكن الأمر، لا شيء يغير حقيقة ان دايون قد عاش بعيداً عنها بعدما تقبّل رحيلها كفراق نهائي، وانه لم يسترجعها الآن الا ليستحوذ على جوزي وليرضي نزعة قسوة تسيطر عليه.

انفتح الباب من جديد، لكن نظرتها المرتعبة ذهبت سدى، لان الزائر المتطفل لم يكن سوى جوزي التي دخلت الى الغرفة وهي تبدو مشعثة الشعر ومحببة الشكل في بيجامة مخططة.

قالت وهي تفرك عينيها وتنظر حولها في ارجاء الغرفة:

ـ تأخرت في النوم.

ثم تابعت مقطبة الجبين:

ـ قالت صوفيا انه يجب علي ارتداء ثيابي لأن هناك سيدة ستأتي اليوم كي تعتني بي وبخالتي سارة اثناء غيابك مع عمي دايون. هل حقاً ستسافرين يا ماما وتتركينني هنا؟

هبطت معنويات مارثا فوراً. لقد املت بأن تطلع جوزي على هذا الخبر

بأسلوبها الخاص، لكنها نسيت كم يثرثر الخدم! ان الثرثرة جزء من طبيعة البشر، وصوفيا، احدى الخادمات الشابات من القرية، لا تعتبر كلماتها مخالفة للعادات السارية.

كانت جوزي تتطلع اليها بقلق فسارعت مارثا الى القول:

ـ في الواقع، قد اغادر ليوم أو يومين مع... مع عمك دايون، كما قالت لك صوفيا. لكني لن اغيب طويلاً، كما ان خالتك سارة ستبقى هنا طبعاً.

ـ اذن، هناك سيدة ستأتي للعناية بنا. من هي؟ هل ستكون مثل السيدة بينيت؟

ـ اعتقد انها مثلها يا حبيبتي. انا واثقة من انها ستكون لطيفة معك. عمك دايون هو الذي اختارها، وانت تعلمين انه لن يختار سوى امرأة تحسن معاملتك.

ـ ما اسمها؟

ضغطت مارثا على كتفيها النحيلتين كي تطمئنها:

ـ لا اعرفه، لكننا سنكتشفه في القريب العاجل. اعدك بذلك.

استمر القلق يخيم على وجه جوزي، فقالت مارثا وهي تغمر وجنتيها الشاحبتين بيديها:

ـ لا تقلقي يا حلوتي. هناك احتمال بأن ابقى هنا لأن الامر لا يزال معلقاً. اذهبي الآن واغسلي وجهك واسنانك، سنتناول الفطور معاً.

كعادتهم عند العشاء، كانوا يتناولون الفطور حول المائدة المستديرة في باحة العرائش. في هذه الساعة من الصباح كان الهواء دافئاً وعابقاً بعطر الزهور المزروعة على الشرفات تحتهم، فيما الضباب الخفيف عند الافق ينشر بيوم مشمس آخر. انه مشهد غاية في الروعة، ولطالما استمتعت مارثا بالجلوس هنا، وهي تشرب عصير البرتقال، وزيزان الحصاد تغرق اذنيها بالطنين.

حين خرجت مارثا من الفيللا نهض اليكس من مكانه وقدم لها وردة. قال وهو يمرر البتلات الناعمة على ذقنها:

ـ الى افروديت، رمز الجمال.

فتساءلت مارثا، أتراه يحاول متعمداً ان يستفز اخاه؟ كان دايون قد

وقف بدوره لدى وصولها، لكنه سرعان ما عاد الى مقعده والى قراءة الصفحة الاقتصادية في الجريدة.

تلقت مارثا هدية اليكس بشيء من الضيق، وقالت بعد ان جلست:

ـ ان صوفيا اخبرت جوزي بقدوم هذه... هذه المربية، وقد انزعجت جوزي كثيراً.

تطلع اليها دايون ببرود وقال بحذر:

ـ لا لزوم لقلقك عليها، كانت ستعرف ذلك ان عاجلاً ام آجلاً.

اجابته بشفتين متقلصتين:

ـ كنت أفضل ان أخبرها بنفسي.

ـ لماذا؟ أنا سأشرح لها الوضع.

اجابته بانفعال عجزت عن اخفائه:

ـ ليس بالطريقة التي شرحتها لي، على ما أرجو.

في تلك اللحظة، وربما من حسن الحظ، أطل روجر بقامته الطويلة النحيلة. لقد بدأ جلده يقسو بفعل الساعات الطويلة التي يقضيها في العراء لكنه بدا معافى ونشيطاً. سرّت مارثا لذلك، لكنها لم تقدر ان تنسى بأنه هو الذي شجعها على الكتابة الى ارسطو، وساهم بالتالي في ايجاد هذا الوضع الشائك.

طوى دايون الصحيفة وسأل روجر بهدوء أثبت عدم تأثره بثورة مارثا السابقة:

ـ اخبرني اليكس انك لم تتوفق بعد باكتشاف أية علاقة بين ميكوس وبين ثيرا، هل أصبت بخيبة؟

رد الآخر مبتسماً وهو يسكب القهوة:

ـ بالطبع لا، انك لا تعرف مقدار الأهمية التي اجنيها من استكشاف الجزيرة بمفردي. ان التكونات الصخرية وحدها تزودني بدراسة مهمة، كما ان ارشادات اليكس قادتني امسْ الى خليج صغير حيث قمت ببعض الاستكشافات المائية. ربما لن تمانع اذا ارسلت في طلب معدات الغوص خاصتي، لأني أود الوصول الى أماكن أعمق تحتاج الى الاستعانة بالاوكسجين.

اجابه دايون بتعاطف:

ـ لا موجب لأن تستحضر تلك المعدات الثقيلة من انكلترا. لدينا هنا أنابيب أوكسجين وبدلات غوص. فأنا واليكس واخي نيكوس كنا نزاول هواية الغوص من حين لآخر.

هتف روجر بفرح عارم:

ـ لا ادري كيف اشكرك!

ابتسم له دايون بمودة وقال ناهضاً عن مقعده:

ـ استمتع بنشاطك ما طاب لك الاستمتاع. الآن، استأذنكم بالانصراف.

بعد ذهابه لم يكف روجر عن اظهار دهشته وفرحه. قال وهو يضع مربى المشمش على شريحة الخبز المحمصة:

ـ يا له من رجل! لن استطيع أبداً ان أفيه فضله.

نظر الى مارثا كي يرى في عينيها ما يؤكد كلامه الا انها كانت تركز على طعامها بحماسة أقل. من طبع دايون ان يتصرف بمثل هذا الكرم، لكنها رفضت الاقرار بذلك. لم يمانع مرة في ان يشاركه الآخرون في ممتلكاته... باستثنائها هي!

٨ـ اذن، كانت على صواب. لقد ظن بها أسوأ الظنون. كيف يمكنه ان يتكلم عن الحب والوله ولم يكن يثق فيها البتة؟

تقلصت اعصاب مارثا، حين سمعت الهليكوبتر تطير فوق الفيللا في الساعة الحادية عشرة والنصف. اذن، وصلت المربية الانكليزية قبل الموعد المحدد. افترضت ان دايون سيتوقع وجودها في غرفة الاستقبال كي ترحب بوصولها. حتى جوزي، التي اظهرت خشيتها منها في الصباح، ما لبثت ان تحمست وثار فيها الفضول الى التعرف عليها. اعترفت مارثا بصدق ذاتي بأن كرهها للزائرة الجديدة قد اشتد ازاء حماسة ابنتها المتزايدة. فهي كانت، لسنوات طويلة، المحور الوحيد في عالم جوزي وعواطفها، واذا نجح دايون في تحطيمه، فماذا سيبقى لها؟

نتيجة لهذه المشاعر اليائسة، قضت الصباح برفقة سارة، مفضلة عداءها المكشوف على اهتمام الآخرين وحماستهم، علماً ان أسباب سخط اختها على وصول المربية يختلف عن اسبابها. فجوزي اخبرت خالتها، بطريقتها العفوية، ما علمته من صوفيا، بخصوص سفر مارثا ودايون الى اثينا، وعلى الفور، انسحبت سارة واقامت بينها وبين اختها حاجزاً من الاستنكار الجليدي.

الا ان صوت هبوط الهليكوبتر ارغمها على الكلام، فعلقت ناظرة الى مارثا:

ـ ألن تذهبي الى المدرج كي تستقبليها؟ سمعت السيارة تغادر قبل بضع دقائق. حسبت ان الفضول سيحملك على رؤية المرأة التي ستحتل مكانك.

www.elromancia.com

ـ انت تبالغين يا سارة. هذه فكرة دايون وليست فكرتي، أراد ان يخفف عني المسؤولية. انه لا يفهم بأني أفضل ان ارعى جوزي بنفسي.

هتفت سارة بازدراء:

ـ من الحماقة ان تصدقي ذلك، فأنت تعلمين قصده من هذه اللعبة! انه يحاول الوقوف بينكما ويعرف انه ما دامت جوزي تعتمد عليك فلن يستطيع ابداً ان يأخذها منك.

قاطعتها مارثا بحركة واهنة:

ـ كفى يا سارة!

نهضت واقفة واخذت تقلص يديها وتفتحهما وهي تحاول الا تصدق مزاعم اختها. تابعت تقول:

ـ ليس الامر هكذا. أرادني دايون ان ارافقه الى اثينا، وجاء بالمربية ليضمن رعاية جوزي اثناء غيابي. هذا كل ما قصده.

ردت سارة هازئة:

ـ أحقاً؟ اتقصدين القول انه لم يكن بالامكان ان تبقى جوزي معي ومع روجر لبضعة ايام؟ كلا، هذا ليس اجراء مؤقتاً يا مارثا، بل هو اجراء دائم. انك لا تستخدمين مربية انكليزية لاسبوع واحد.

تنفست مارثا بضيق. لقد عبّرت سارة بالكلام عما يساورها من شكوك مماثلة. لم تشأ ان تواجه الحقائق البغيضة التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار. ما هي لعبة دايون، والى متى تستطيع الاحتمال؟

قالت اخيراً:

ـ سأذهب في نزهة قصيرة.

سألتها سارة بدهشة:

ـ الى اين ستصلين في نزهتك؟ لقد قرب موعد الغداء.

اجابت وهي تبتعد عنها:

ـ سأمشي قليلاً، الى اللقاء.

كانت الساعة تقارب الواحدة عندما عادت تهبط التل الى الفيللا، لكنها رفضت ان تشعر بالقيود، فلها مطلق الحق في ان تخرج للتنزه ساعة تشاء ولن يوقفها اي شيء يقوله دايون أو يفعله. ان كان يتوقع وجودها في

الفيللا كي تستقبل نصيرته الجديدة، فهو المسؤول عن سوء تقديره، وهذه المرأة، كائناً من تكون، لا يجب ان تتصور أنها ستحظى بسلطة كاملة.

لدى مرورها في الحديقة سمعت أصواتاً تنبعث من الباحة، لكن بُعْدَ المسافة حال دون تمييزها لهوية المتكلمين. دخلت الى البيت عبر الأبواب الزجاجية لاحدى قاعات الاستقبال، ومن هنا صعدت الى غرفتها من دون ان تلتقي بأحد.

الا انها توقفت على العتبة وحدقت مشدوهة في المشهد الذي طالعها. بدت الغرفة مليئة بالناس مع انه لم يكن فيها سوى خادمتين شابتين، لكن أرض الحجرة، وكل خوان وطاولة ومقعد، كانت طافحة بعلب كرتونية متعددة الاحجام، تتدلق منها فساتين وتنانير، بنطلونات وقمصان، احذية وملابس داخلية، من كل لون وزيّ يمكن ان يتصوره انسان.

هتفت وهي تحدق حولها مندهشة:

ـ ما الذي يجري؟

ثم وعت ان الفتاتين لم تفهما عبارتها فكررت السؤال باليونانية. اجابتها احداهما:

ـ انها ملابسك الجديدة يا سيدتي. لقد طلب السيد دايونيسوس ان نوضبها في الخزائن والادراج.

قالت وهي تنظر بحيرة عاجزة الى فستان للسهرة من الحرير الأرجواني الثقيل:

ـ أطلب ذلك حقاً؟

اجابت الفتاة الاخرى مبتسمة بمكر:

ـ نعم، سيدتي. أشياء جميلة وفيرة العدد. لا بد ان السيد دايونيسوس يحبك كثيراً. أليس كذلك؟

عضت شفتها السفلى بقوة. أغلب الظن ان لا علاقة للحب بهذه العطايا. كل ما في الامر ان دايون يريدها أنيقة كي لا يخجل من مظهرها، بعد ان لاحظ النقص الفادح في ثيابها.

لكن هذه الملابس وفيرة جداً... كما قالت الفتاة! متى ابتاعها؟ كيف عرف الانواع التي تحتاجها، والحجم الذي يناسبها؟

الجواب بسيط. انه يعرف النساء، وقد خمّن، على ما يبدو، انها اصبحت تلبس حجماً يقل درجة واحدة عن الحجم الذي كانت ترتديه خلال زواجها منه. لا ريب انه احتار في اختيار الثياب التي تريدها، لذلك ابتاع كل الانواع.

اطبق عليها الذهول وشعرت كأن هناك من يكتم انفاسها. لم تدر ماذا تفعل أو تقول. اضافة الى هذا، عليها ان تقابل مربية جوزي.

سمعت خطوات تتقدم على الرواق فادركت هوية القادم.

لم تجد الوقت لابداء اية معارضة اذ انه سارع الى صرف الخادمتين بكلمة أمر حاسمة. خرجتا بسرعة وهما تبتسمان خلسة، لكن ما ان ابتعدتا عن نظريها حتى هاجمته مارثا باحتجاج ثائر. سارت الى وسط الغرفة وقالت ملوّحة بيديها دلالة على الازدراء:

ـ ما كل هذا؟ ألا تليق ملابسي بمقامك؟ هل تخجل من مظهري؟ أهذا هو السبب؟ أتريد ان تجعل مني شجرة تزينها بثمار استغلاليتك؟

نسيت كلياً، كيف اقلقتها فكرة الذهاب الى اثينا، كونها لا تملك ثوباً يليق بحضور الحفلة الفخمة التي ستقام هناك. أعماها الغضب فلم تبصر الا وجهاً آخر لسيطرته عليها، ووتراً آخر في موسيقاه ترقص على ايقاعه.

تمهل دايون في اجابتها. اغلق الباب واسند ظهره اليه تاركاً لها المجال كي تهدىء ثورتها. قال أخيراً:

ـ أين كنت؟

ردت بعدم اكتراث:

ـ أيهمك ان تعرف؟ اتريدني أيضاً ان اشرح لك كيف اقضي كل دقيقة من وقتي؟

ـ اصمتي!

ادركت، لأول مرة، انها مست فيه وتراً حساساً، فرفضت الاكتفاء بذلك الانتصار الصغير وتابعت تتحداه بقولها:

ـ لماذا تريد اسكاتي؟ انك تعاملني كأنني طفلة، ثم تثور عندما اعاملك...

ـ كأنني طفل! أين كنت يا مارثا؟ أريد ان اعرف اين كنت عندما

وصلت الآنسة باول.

ـ ذهبت للتنزه. أكيد انك حصلت على هذه المعلومات من سارة.

ـ ان معلومات اختك لا يمكن الوثوق بها. اين تنزهت؟ هل ذهبت الى القرية؟ أفضل لو انك ترفعين عن التصرف كفتاة قروية، وان تتصرفي بالطريقة اللائقة التي يتوقعها الناس من زوجتي.

شملها بنظرة مزدرية وتابع:

ـ فكي هذه الجديلة السخيفة والا اقتلعت شعرك من جذوره!

ارتجفت غضباً. تذكرت كيف كان يصر، في الماضي، على ان تبقي شعرها طويلاً، فاقترحت بتحدّ:

ـ ربما تفضل ان أقصه.

ضاقت عيناه واقترب منها بتمهل. كان فمه متقلصاً ينذر بالخطر، كما ان الغضب المتوهج في عينيه سمرها في مكانها. وقفت من دون حراك وتركته ينزع الرباط المطاطي عن الجديلة ويحرر الخصلات بحركة قاسية جلبت الدموع الى عينيها.

وقف يحدق فيها وقال بتحذير بارد:

ـ لا تناوري بألعابك يا مارثا! انزعي هذا الفستان القبيح وارتدي شيئاً اكثر ملائمة لانوثتك.

تقلص فكها وقالت بحنق خانق:

ـ ربما تفضل أيضاً ان تختاره لي بنفسك.

ثم شهقت مرتعبة حين امسك بياقة الفستان ومزق صدره. وافقها قائلاً بوحشية:

ـ ربما من الخير ان افعل ذلك.

استدار جانباً وراح يقلب الثياب الملقاة على السرير. قال أخيراً:

ـ هذا يفي بالغرض. هيا، ارتديه، أم تريدينني ان البسك اياه بنفسي؟

الصقت صدر فستانها الممزق بيدين ملهوفتين، فعلّق بضيق ومرارة وأهدابه الحريرية تظلل عينيه:

ـ اذكر اني كنت البسك ثيابك... وانزعها عنك أيضاً. بوسعي ان اقوم بدور الوصيفة عند الضرورة، وان احصل على استمتاع

في الوقت نفسه.

تلاحقت انفاسها بتأثير كلماته. لا ريب انه سينفذ تهديده اذا ما عارضته ثانية. تصارعت عواطفها مع عقلها غير ان عقلها انتصر في النهاية.

- دايون، ارجوك...

شعرت باحتقار ذاتي كونها اتاحت له ان يذلها على هذا النحو، الا انه اظهر عدم الاكتراث وسلمها الثوب الذي اختاره.

حالما ولجت الحمام، نزعت الفستان الممزق مدركة ان لا جدوى من اصلاحه. بعد ان غسلت وجهها وذراعيها ارتدت الثوب الجديد.

عندما خرجت من الحمام توقعت ان يكون غادر الغرفة لكنها رأته يرتكز الى طاولة الزينة.

استقام في وقفته لدى ظهورها وعلق قائلاً:

- انه يعجبني، الآن، جاء دور شعرك. اتريدينني ان اسرحه عنك؟

تقدمت بسرعة من طاولة الزينة، وقالت:

- سأسرحه بنفسي. بوسعك ان تتصرف، لن افعل شيئاً يفسد خططك.

رد بسلاسة وهو يناولها الفرشاة:

- سأخرج عندما اقرر ذلك. انت امرأة جميلة يا مارثا. لم تبذلين كل جهدك لاخفاء جمالك؟ أما زلت تخافين مني؟

جف حلقها وقالت محاولة التركيز على مهمتها:

- أنا؟ اخاف منك؟ لا تكن سخيفاً!

- أهذا ما تظنينه؟

وقف خلفها، فاقشعر جلدها توقعاً. ارغمت نفسها على عدم التحرك عندما مرر اصابعه على القماش الحريري واحست بها تكوي جلدها.

عجزت أخيراً عن الاحتفاظ بجمودها فهمست:

- أنا أود... ان لا تفعل هذا.

التقت عيونهما في المرآة فتحداها بقوله:

- لم لا؟ احب ان المسك واشعر برد فعلك. كفاني ما أضعت من سنوات

حتى الآن.

لكنه اطلق سباباً مكتوماً وابتعد في اتجاه الباب كأنه ضجر من ممارسة هذه الالعاب المضنية.

قال بحدة ونفاد صبر:

- هيا، ان الآنسة باول تنتظر قدومك.

وقف اليكس فور ظهورهما واتسعت عيناه دهشة من اناقتها الرائعة، بعدما اعتاد على رؤيتها في ثيابها الصيفية القطنية.

تلفتت حولها بحثاً عن المرأة التي استخدمها دايون لرعاية جوزي، ولما وقع بصرها عليها اصيبت، بدورها، بدهشة واضحة.

الآنسة باول لا تحمل اي شبه للسيدة بينيت، بل انها تختلف، نموذجياً، عن سائر المربيات اللواتي التقتهن في حياتها. كانت شابة، لا تتعدى الثالثة والعشرين، ذات قوام نحيل جذاب، وشعر اسود مجعد. كانت تتميز فحسب بلباس المربية الرسمي... بلوزة بيضاء وتايور من الكتان الزيتي، وقد طرزت على صدره الاحرف الاولى لاسم المؤسسة التي اوفدتها. ابتسامتها جذابة ايضاً، تظهر اسناناً بيضاء فيها شيء بسيط من عدم الاستواء، ولولا انتقاد سارة المتهكم لمالت اليها مارثا من أول نظرة.

لدى اقترابهما وقفت الفتاة بدورها. كذلك قفزت جوزي من كرسيها وتقدمت من أمها تقول بلهفة:

- هذه الآنسة باول. أليست لطيفة؟ كانت تخبرني ان هذه هي أول مرة تعتني فيها ببنت صغيرة مثلي.

- أقالت ذلك يا حبيبتي؟

التفتت بحرج صوب دايون الذي سارع الى ضبط الموقف، فقبض على رسغها وجذبها الى الامام ثم قال مكملاً مهمة التعريف:

- اقدم لك... والدة جوزي. انها تتشوق الى التعرف عليك.

- أهلاً، سيدة ميكونوس.

مدت يدها بتهذيب فاضطرت مارثا الى مصافحتها، ابتسمتا لبعضهما البعض مع ان ترحيب مارثا كان مقتضباً الى حد ما.

ارخى دايون رسغها ثم دعا الجميع الى تناول الغداء البارد الذي

أعدته ماريا.

اثناء الطعام، استطاعت مارثا ان تقيّم الفتاة بسهولة اكبر. اصغت اليها وهي تجيب على اسئلة دايون، فأقرت بانها تبدو مولعة فعلاً بالاطفال. جوزي، من جهتها، وجدت في المربية فرداً ممتعاً يضاف الى اهل البيت، وعندما احست مارثا بنظرة سارة تتركز عليها وجدت صعوبة كبرى في اخفاء مشاعرها الحائرة.

ثم خاطبتها الآنسة باول بقولها:

ـ اخبرني السيد ميكونوس انك انكليزية يا سيدة ميكونوس. هل انت من لندن، أيضاً؟

وافقتها مارثا ببعض الجمود:

ـ من ومبلدون. أأنت منها؟

ـ انا من هامستيد، لكنني اتطلع الى العيش في اليونان، ان مناخها رائع. وهذه الجزيرة...

عوّضت حماستها عن متابعتها للشرح، فانحنى اليكس صوبها وسألها ان كانت قد زارت الجزر من قبل. هنا، اغتنم دايون الفرصة وهمس لمارثا قائلاً:

ـ حسناً؟ ما رأيك فيها؟

فنظرت الى يديها، وأقرّت بصوت خفيض:

ـ انها تبدو غاية في الدماثة. لكنها... قالت انها تتشوق الى العيش في اليونان. أفهم من هذا انها ستقيم هنا طويلاً.

ـ طبعاً. انه اتفاق دائم. حسبتك على علم بذلك.

تطلعت اليه بقلق وسألت:

ـ اتفاق دائم؟ بالنسبة الى من؟

ضاقت عيناه وأجاب بضجر:

ـ لا ضرورة لهذا السؤال. كلي طعامك وكفي عن النظر الي كأنني عفريت!

سمعته يتنهد بأعياء قبل ان يستدير الى جوزي التي كانت تشد كمّ سترته، تاركاً زوجته تواجه استنكار سارة الواضح.

بعد الغداء جاءت صوفيا لتصطحب الآنسة باول الى جناحها الخاص، وأصرت جوزي بصخب على مرافقتها فسمح لها بذلك. احست مارثا بخواء غريب، فدايون واليكس انغمسا في حديث حول انتاج النفط، وحين استأذنت سارة في الذهاب الى غرفتها، نهضت مارثا بدورها لكن دايون نقل اهتمامه اليها وسألها:

ـ الى اين ستذهبين؟

ـ سأذهب الى غرفتي. ألديك مانع؟

ازاح كرسيه الى خلف وقال:

ـ نعم، امانع بشدة. أريد ان اقضي العصر برفقة زوجتي. وارجو الا تستثقلي هذا الطلب.

ثم أضاف ملتفتاً الى سارة المتجهمة المحيا:

ـ لا تدعينا نؤخر انصرافك.

هتفت سارة بحنق متجاهلة تنهيدة مارثا القلقة:

ـ لا يمكنك ان تعاملها كعبدة لك. انها امرأة ذات حقوق خاصة ولا سلطة لك عليها الا من خلال الطفلة. انك تتعمد تعذيبها بطريقة تدعو الى القرف!

ـ سارة...

تجاهل دايون توسل مارثا وخاطب سارة بصوت بارد:

ـ أنا لم اعذبها ولم اشوه تفكيرها الى حد جعلها لا تعرف اي شيء تصدق! لكنني اعتزم تغيير ذلك كله، وان لم يعجبك الوضع فلا مناص لك من احتماله.

استدارت الى اختها وهتفت:

ـ مارثا! ألن تفعلي شيئاً لتمنعيه من التكلم معي بهذا الأسلوب؟

ـ دايون...

ـ لا تتدخلي في هذه القضية يا مارثا.

اطلقت سارة هتاف غضب ثم جرّت مقعدها وابتعدت عنهما من دون ان تتفوه بكلمة.

شعرت مارثا بالذنب كونها تسببت في ايلام اختها. همت بان تلحق بها،

لكن دايون تحرك بسرعة وواجه زوجته قائلاً بغضب:

ـ دعيها تذهب. صدقيني، بوسعي ان اكون قاسياً مثلها، واذا اوجدت لي مبرراً لذلك فبوسعي ان اطردها في أي وقت.

شهقت مارثا وعجزت عن النطق. تأوه دايون ساخطاً ثم أمرها بقوله:

ـ احضري ثوب السباحة. سنغادر في خمس دقائق. لا تدعيني انتظر.

ـ واذا رفضت؟

ـ انصحك بأن لا تفعلي.

استدار عائداً الى حيث يقف شقيقه، وتابعا حديثهما كأن شيئاً لم يكن.

فكرت مارثا ان تلحق بسارة لكنها خشيت ان ينفذ زوجها تهديده. صعدت الى غرفتها، وشعرت بارتياح حين وجدت ان الثياب الجديدة قد وضعت في الخزانة والادراج اثناء غيابها.

وجدت دايون بمفرده، وبدا ان اليكس انصرف ليتابع اعماله. تأملها زوجها بامعان ثم نهض عن مقعده بتكاسل. علق وهو يتقدم منها ويشير الى المايوه:

ـ ما تزالين على عهدك القديم. انا واثق من وجود مايوهات اخرى ضمن مجموعة الثياب التي اوصيت عليها لكن لا بأس. لا يهمني ما ترتدين ما دمنا سنبقى بمفردنا.

سارت معه عبر الحدائق ثم قطعا الساحة حيث وجدا سيارة جيب في انتظارهما.

سرعان ما بعثر الهواء شعرها حين دارا حول أراضي الفيللا الخارجية وانطلقا عبر الجزيرة على الدرب المعشوشبة. الا انها انتعشت وهي تحس الريح تشد شعرها وتلطف رطوبة جلدها. شعر دايون تبعثر أيضاً، وتهاوت بعض الخصلات على جبينه حين استدار اليها قائلاً:

ـ سنذهب الى اتفيا.

لم تجبه على تصريحه لانشغالها بافكارها الخاصة، فتابع قائلاً بحدة:

ـ ما بك؟ هل يذكرك المكان بأيام سعيدة؟ بذكريات تفضلين ان تنسيها؟

اغضبها انه استطاع قراءة افكارها. قالت وهي تغرز اظافرها في كفيها:

ـ كنت افكر في سارة. لا يجب ان تعاملها هكذا. انها لم تؤذك ابداً. لماذا...

قاطعها بعنف:

ـ لن نتحدث عن سارة هذا العصر. لن ادع غيرة تلك المرأة تسمم نزهتنا الخلوية هذه.

ـ الغيرة! كيف تجيز لنفسك بأن تتكلم عن الغيرة؟

ـ مارثا، ارجوك، اتوسل اليك. دعينا الآن من هذه المواضيع. الا يمكننا ان نستمتع بيومنا؟ هل يستحيل علينا ان نجتمع بمفردنا من دون ان نقحم شخصاً آخر في أحاديثنا؟

ـ اردت القول...

لكنها قطعت عبارتها واطبقت شفتيها. أية جدوى ترجى من مخاصمته خلال هذه الساعات القليلة التي سيقضيانها معاً؟ خير لها ان تحتفظ الآن بآرائها الخاصة.

كي يصلا الى الخليج، اضطرا الى ترك الجيب وهبوط المنحدر الصخري. كانت هناك مواطىء اقدام لكن صعوبة الوصول اليها جعلت مغامرة الهبوط اكثر تشويقاً. نزل دايون امامها، حاملاً الحقيبة الجلدية على ظهره وبعض المناشف وتبعته مارثا محاولة الهبوط دونما حاجة الى مساعدته المعروضة.

كان الرمل مبيضّاً بتأثير الشمس، وغمر دفئه اصابع قدميها حين وقفت تتأمل الشاطىء والبحر المحمي بالصخور. السكون شامل، لا يعكره الا اصوات الطيور المستنكرة هذا التطفل، كما احدث رشاش الماء، وهو يهاجم برك الصخور، صدى ايقاعياً لصراخ الطيور.

شعرت مارثا بالاسترخاء وطغى جمال المكان على امتعاضها. رأت دايون يراقبها فقطبت قليلاً ثم قالت كأنها تبرر استرخاءها:

ـ لقد نسيت مدى جماله وهدوئه.

احنى رأسه بموافقة صامتة ثم ألقى الحقيبة والمناشف على الرمال. نزع صندله وسار الى حافة المياه حيث غطس قدميه في الامواج الصغيرة. راقبته مارثا قليلاً ثم جلست على الرمل مثنية الساقين.

رجع دايون فركزت بصرها على نقطة بعيدة في الافق، ثم نزع قميصه واضطجع قربها، غير مكترث بحماية جسمه من اشعة الشمس المباشرة، لأن سمرة جسمه الطبيعية لا تحتاج الى حماية.

ظلت مارثا تجلس مثنية الساقين لكن الجمود بدأ يتعبها وتاقت الى الغطس في المياه الزرقاء كي تحرر جسمها من الحرارة والتعرق.

كان دايون قد اغمض عينيه لدى استلقائه. خالته نائماً، فسارعت الى تحرير قميصها من ضغط نطاق الشورت. اشعرها ذلك ببعض الارتياح الا انه لم يخلص صدرها من اللزوجة الواخزة.

قال دايون وكلماته تفجر اسطورة نومه:

ـ ارتدي المايوه او اسبحي من دونه. اختاري ما يروقك، فنحن هنا بمفردنا.

تنفست بعمق وقالت بخجل:

ـ هذا المايوه لا يزال رطباً، كما انه لا يوجد مكان أغير فيه ثيابي.

اجابها متنهداً بضيق:

ـ سأغمض عيني ان كان ذلك يسرك. انما لا تتوهمي بأني لا اتذكر بالضبط كيف تبدين من دون ثياب.

سارعت الى النهوض اثر هذا التصريح الفاتك، فاضطجع دايون على بطنه وادار وجهه بعيداً. اكتفت بهذه الخلوة المعقولة فنزعت الشورت والقميص وارتدت نصف المايوه التحتي، لكن بسبب رطوبة الصدرية وجدت صعوبة في اقفالها عند الظهر. كانت لا تزال تحاول ذلك، عندما انقلب دايون على ظهره ثانية.

تأمل جسمها الرائع التكوين ولما لاحظ محاولاتها الفاشلة في ربط الصدرية نهض واقفاً بخفة. ادار جسمها المتصلب وقال بعد ان أدى المهمة:

ـ اقترح الآن ان نسبح لبعض الوقت كي لا تصابي برشح من جراء رطوبة المايوه. ما رأيك؟

قلصت شفتيها وشكرته على مساعدته ثم اومأت برأسها كرد ايجابي على اقتراحه. لسعتها برودة الماء في البداية، ثم هتفت بانفعال حين لطمت

الموجة الاولى ساقيها. ابتسم دايون وغاص في الامواج الاقوى لكن مارثا لم تحذ حذوه، الامر الذي ارغمها على ان ترفع قدميها عن القعر الرملي وتسبح قدماً في مياه اهدأ.

سبح دايون عائداً اليها ودار حولها وهو يضرب الماء بكسل. عامت على ظهرها كي تتجنب نظراته الساخرة، لكنه قبض على وسطها ودفعها نزولاً فرفعت رأسها لتجده يضحك من حيرتها. سبحت تسابقه بغضب، ولما ادركته، وعت بأنه اتاح لها الانتصار عن تعمد. انقلب غضبها الى تسلية فحاولت ان تغطسه كما فعل بها سابقاً.

قال مداعباً وهو يصد هجماتها بيسر:

ـ لست قوية بما فيه الكفاية. انظري، سوف اغوص من تلقاء نفسي، ان كانت هذه رغبتك... غاص تحتها ثم ارعبها حين وجدته يحملها على كتفيه. هتفت باحتجاج:

ـ دايون!

أطاعها فوراً واتاح لها التخلص منه بحركة بهلوانية خلفية.

اكتشفت انها تستمتع استمتاعاً هائلاً، فمنذ سنوات طويلة لم يلاعبها احد على هذا النحو، باستثناء ملاعبات دايون السابقة. اجتاحتها موجة حنين الى تلك الأيام الخالية من المشاجرات البشعة.

استلقيا بعد ذلك على الشاطىء، جنباً الى جنب، حيث غمرهما سلام غريب. قال دايون فجأة، وهو يحمي عينيه بذراعه:

ـ صارحيني يا مارثا، هل كنت ستطلعينني على هوية جوزي، لو لم تبرز مشكلة سكوت؟

كرهت مارثا ان تفسد انسجامهما فقالت متنهدة انما بصدق:

ـ لا ادري. اود ان افكر هكذا. لكن بعدما رأيتك ثانية...

ارتكز دايون على مرفقه وحثها قائلاً:

ـ اجل؟ ماذا حصل وقتئذ؟

اجابت متلعثمة:

ـ بدوت... قاسياً جداً... وحقوداً! عندما ارغمتني على اخبارك، اعتقد... اني كرهتك في تلك اللحظة.

- تابعي.

- ليس لدي ما اضيفه. انت تعلم ماذا حصل. جئت الى انكلترا، وصدقتني بعد ان رأيت جوزي!

- كلا، لا أقصد هذه الناحية... أريدك ان تخبريني، لماذا تميلين الى الاعتقاد بانك كنت ستخبرينني من تلقاء نفسك ومن دون أي اكراه؟

- اوه... من أجل جوزي، على ما أظن. ادركت اني سأظلمها... ان لم أخبرك.

- ربما اردت ان تريني الطفلة الجميلة التي انجبناها معاً.

ارتعشت داخلياً لاحساسها بجاذبيته المدمرة، وقالت بجرأة:

- بعد الاتهام الذي وجهته الي؟

- يا الهي! أليس لديك اي تصور عن شعوري آنذاك؟ عندما اعتقدت ان المرأة التي أحبها بوله، قد عاشرت رجلاً سواي؟ اردت أن أؤذيك مثلما آذيتني، بل اكثر بكثير. لكنني لم استطع ان أفعل شيئاً! لذلك اسمعتك كلاماً لا يغتفر، اعترف بخطأي، لكنني كنت اعتقد نفسي مصيباً، آنذاك. هذا هو عذري الوحيد!

استقامت جالسة وهي ترتجف. حدقت الى الصخور العالية من دون ان تراها. اذن، كانت على صواب. لقد ظن بها اسوأ الظنون. كيف يمكنه ان يتكلم عن الحب والوله ولم يكن يثق فيها البتة؟

جلس بدوره وراح يتأملها بعينيه الداكنتين والقادرتين على سحب روحها وتعريضها لسيطرته اللامبالية.

- مارثا... هل بامكانك ان تتفهمي عذابي آنذاك؟ الا توجد في قلبك ذرة عطف تجاه انسان عاش خمس سنوات من الجحيم؟

عجزت عواطفها عن الصمود أمام تهجمه المخادع، ولم تشأ ان تتابع هذا الموضوع القابل للانفجار، فقالت بارتباك:

- كثير على المرء ان ينتظر خمس سنوات يا دايون. من الصعب علي الآن، ان اصدق... اعلانك عن تلك المعاناة.

- مارثا، ماذا توقعت مني ان افعل، عندما... عندما...

- عندما ماذا؟

حيرها العذاب الذي غشي وجهه، لكنه اشاح عنها واخذ يفرك عنقه بعنف أظهر مدى اضطرابه.

بعد صمت قصير، تنهد واستدار نحوها قائلاً بخشونة:

- لن تصدقيني ابداً، أليس كذلك؟ لن تكفي عن اتهامي باني المسؤول عما حدث؟

بدأت تقول بحزن:

- دايون...

لكنها صمتت حين قبض على عنقها وادار وجهها صوبه.

- قولي انك لا تريدينني ان أفعل هذا، فأتوقف فوراً. اشعر الآن كأنني مع مارثا العذراء، حين أحببتها لأول مرة. اتذكرين روعة ذلك الحب يا صغيرتي؟

تلاحقت انفاسها فلمست كتفه كأنها تجرب رد فعلها، وانبعثت فيها احاسيس كانت تظنها مفقودة.

غمغم وهو يداعب اذنها:

- أتشعرين بالحب؟

اومأت بلهفة واجابته هامسة:

- انت تعرف الجواب. أواه يا دايون، لم يكن هناك أحد سواك في حياتي...

- الآن تأكدت من ذلك.

اشعرها جوابه باهانة مؤلمة، لكنها عجزت عن اخماد الرغبات التي كانت تمزق مقاومتها وتسخر من ارادتها العاجزة عن صدّه.

وفجأة، صفعها الحرمان عندما انقلب على ظهره مبتعداً عنها وحدق في السماء باسارير جامدة. لم تستطع ان تصدق انه تركها وانه خذلها مرة أخرى. مزقها ألم العواطف المثارة من دون ارتواء، فجمدت مكانها بلا حراك. كيف استطاع ان يعذبها هكذا ويعذب نفسه؟ لكنه فعل، وشعرت بخذلانه القاسي يجتاح كيانها.

جلست بعنف وعقدت الصدرية بسهولة هذه المرة. ربما ارتجاف اصابعها الشديد جعلها تصيب الهدف. في أي حال، شعرت الآن بمناعة

أكبر ضد احتقاره، اذ لم تجد سبباً آخر لتصرفه المستعصي على فهمها.
أحس دايون بتحركها، فجلس أمامها واستوضحها غاضباً:
- لم هذا الاستياء يا حبيبتي؟ اي نوع من الرجال تظنينني؟
- لا اعرف ماذا تعني...
رد بازدراء:
- اوه، اعتقد انك تعرفين. انا لست غبياً. انت تريدينني... أعلم ذلك، والله وحده يعلم اني لا استطيع اخفاء رغبتي. لكني اسائل نفسي، الام ستدوم هذه الحال؟ بوسعي ان اثير عواطفك، لكن هل يسعني ان احرك قلبك؟ انك تظلمينني ان كنت تظنين اني اريدك فقط. ليس هذا الاسلوب الذي درجت عليه عائلتي.
- انكم تسعون الى التملك الكلي، أهذا ما تقصده؟ ثم هل تستطيع الانكار بأنك تريدني فقط من أجل جوزي؟
حدجها بنظرة وحشية جعلتها تنكمش وتبتعد عنه. هتف ساخطاً:
- جوزي! كيف يمكنك ان تتكلمي عن جوزي في ظرف كهذا؟
نهض واقفاً وقال باعياء:
- ألبسي ثيابك. لم يعد هناك ما نقوله لبعضنا البعض!

٩- المشكلة لا تكمن في تصرفه الحالي تجاهها. بل هي في ادراكها بأن تصرفه المجنون بدأ يفقد أهميته ازاء الرغبة الملحة التي يثيرها فيها...

كانت فيللا آل ميكونوس في اثينا اكثر رسمية من الفيللا في ميكوس ذات الترف العادي. فهنا، حرية الدخول والخروج غير موجودة، كذلك المألوفية بين الخادم والسيد. الحراس الذين يخفرون المدخل الرئيسي وأراضي الفيللا، يقومون بواجبهم بجدية تستدعيها الضرورة، كما ان معظم الغرف تفتقر الى الحميمية على الرغم من جو الحياة العائلية العام.
أحست مارثا بثقل شكوكها وهي ترتدي ثياب العشاء في غرفة النوم التي افترضت انها ستتشاركها مع زوجها. شعرت بعصبية وقلق، وبحيرة رهيبة، لاسيما ان تصرف دايون تجاهها لم يخفف من عبئها شيئاً.
من المفروض ان تشعر بالسرور كونه كف عن تعذيبها. فهو لم يعد يلمسها او يسخر منها او يفعل شيئاً من شأنه ان يفسد ثقتها الظاهرية، لكنها لم تشعر بأي سرور. كانت ممزقة بين أمرين، معرفتها بانه يتوقع منها عطاء لا يستطيع المطالبة به، وبين احساسها المتزايد بان حياده ما هو الا نوع من التعذيب المحض.
هذا لا يعني انه اساء معاملتها، فمنذ شجارهما الأخير على الشاطىء وهو يتصرف بحذر شديد. يعاملها بتهذيب في حضور الآخرين، وبعدم اكتراث عندما يكونان وحدهما.
تركها للجزيرة، لم يكن صعباً كما توقعت، لأن جوزي تجاوبت بسرعة مع الأنسة باول... او جيل، كما فضلت ان تُدعى. كانت فتاة دمثة للغاية، الا انها اهتمت بجذب اليكس اكثر مما اهتمت بكسب عواطف

طفلة في الخامسة. قامت بعملها على نحو جيد، كما ان جوزي احبتها، لكنها سرعان ما فقدت حماستها لوجود مربية تلبي حاجاتها باستمرار، فعادت تطلب من أمها ان تقرأ لها قصصاً، وتلح على دايون واليكس بأن يسبحا معها في الحوض.

مع ذلك، فضلت مارثا ان تترك جوزي في عهدة جيل، بالرغم من ان سارة لم تكف عن الادلاء بآرائها المنحازة. مرارتها المستمرة تركت اثراً في نفس مارثا فتساءلت، هل هي ساذجة فعلاً، ام ان سارة تتعمد ان توهمها بانها كذلك؟

في الليلة السابقة لمغادرتها الجزيرة، صارحت روجر بشكوكها هذه، لكنه سخر من مخاوفها وهتف قائلاً:

ـ ان سارة تحب التذمر، ألم تلاحظي؟ لست ادري، ربما كانت هكذا دائماً ولم تلاحظ ذلك الا الآن.

ـ ماذا كان بوسعي ان افعل خلاف ما فعلت؟ ان دايون...

قاطعها روجر مؤنباً:

ـ كفي عن لوم نفسك! كان لا بد ان يعرف، ان آجلاً او عاجلاً. عندما كبرت جوزي كان من الطبيعي ان تندمي على صمتك.

ـ أندم؟

ـ نعم، تعلمين اني على صواب فلم لا تقرين بذلك؟ كنت اراك تضطربين كلما اثير موضوع ابوة الطفلة. كان الشعور بالذنب ينهش حياتك، وانت تعلمين هذا.

ـ اذن، تظن اني أصبت باطلاع دايون على الحقيقة؟

ـ طبعاً، أليس هذا رأيك أيضاً؟

لم تجبه آنذاك، لكن نظرتها عبّرت عن موافقتها... روجر، يا له من صديق عزيز. ليتها وقعت في حب رجل مثله، تأنس اليه وتفهمه، بدل ان تقع في حب يوناني متقلب الاهواء، مفعم النفس بكبرياء قومه وغطرستهم.

كان مجيئها الى هنا، تجربة منهكة للاعصاب. فقيظ الصيف يلهب اثينا، بعكس ردهات الفيللا واجنحتها المبردة. كما ان حموها استقبلاها بفتور.

شخص آخر استقبلها أيضاً بفتور، المرأة التي كانت تأمل بأن تصبح الزوجة الثانية لدايون، وقد استقت مارثا هذه المعلومات من الخادمة الصغيرة التي اوكلت اليها مهمة الاعتناء بها. اسم المرأة جوليا كورياكان، التقتها مارثا في الليلة الاولى لوصولها، وقد اوضحت من خلال تصرفاتها انها تعتبر زيارة مارثا مجرد عقبة مؤقتة، فيما عاملت دايون بمألوفية مزعجة، عبّرت عن علاقتهما الوثيقة. اما مارثا فأمضت السهرة تراقب بغيظ تلك العواطف المتبادلة، التي تصورت ان دايون هو المسؤول الوحيد عنها.

فكرت الآن، وهي تضع عطراً ناعماً على عنقها ورسغيها، من الجائز ان دايون يلعب بعواطف جوليا لدوافع خاصة به. هل كان صادق العواطف عندما كانا على الشاطىء؟ هل كان يعتزم اغواءها، لكن تجاوبها التلقائي اشعره بالخذلان؟ انها لا تدري، بل لا تفهم سبب غضبه منها. لكنها بدأت تتبيّن الآن بوضوح استحالة عيشها مع دايون على هذا النحو الحيادي المائع.

دخل دايون من باب غرفة اللبس فزاد قربه من عذابها. بدا جذاباً وكامل الرجولة في بدلة للسهرة من المخمل الرمادي. انجذب بصرها اليه مثل المغنطيس، وتلكأ على كتفيه العريضتين وساقيه القويتين.

منذ مجيئها الى اثينا، اتخذ دايون من غرفة اللبس مكاناً لنومه، الامر الذي اثار لغط الخدم حتماً. الا انه بدا غير مكترث بما قد يقال عنهما، وتصرف بشكل عادي، كأنه اعتبر نومهما في غرفتين منفصلتين، امراً جد طبيعي. اما مارثا، فانتظرت بقلق وصول هذه المعلومات الى والديه، لأنه متى حدث هذا، سيصبح وضعها مستحيل الاحتمال.

سألها دايون بعد ان اغلق الباب خلفه:

ـ هل انت مستعدة؟ يسرني انك عملت بنصيحتي فارتديت الثوب الذي اخترته عنك. ان لونه يناسب بشرتك.

ـ شكراً.

حاولت ان تتكلم بجمود وهي تنهض واقفة. لم يخف عليها ان لون الفستان العنّابي انسجم بجمال رائع مع بشرتها البيضاء المُسْمَرّة. كانت الخادمة الصغيرة، ايرين، قد بلّغتها رغبة السيد دايونيسوس في ان ترتدي

هذا الثوب بالذات. اطاعت تعليماته من دون تردد، اذ كفاها خوفها الآخر من حضور الحفلة، اضافة الى ان الثوب جميل حقاً، وارادت ان تبدو في كامل بهائها.

تقدم منها دايون وقال مخرجاً من جيبه الداخلي علبة مستطيلة:

ـ لدي شيء قد يشكل ملحقاً مناسباً لثوبك. تفضلي.

تناولت العلبة المفتوحة، وشهقت اعجاباً بالقلادة والقرطين في داخلها.

غمغمت بصوت مختنق من شدة التأثر:

ـ لا لا ادري ماذا أقول. انها قطع جميلة. لكنها ليست لي، بالتأكيد؟

ـ الياقوت والماس يشكلان مزيجاً مثالياً لفستانك. هات، دعيني ألبسك القلادة.

وقفت جامدة ريثما ثبت المشبك، ثم لسعت برودة القلادة عنقها فغطت الاحجار باصابعها. ادركت الآن سبب اختياره لهذا الفستان، وتساءلت متى ابتاع هذه الهدية النفيسة. قال لها:

ـ جاء دور القرطين. خذي، البسيهما بنفسك. حسناً، تبدين الآن مثالاً للزوجة المدللة.

قلصت شفتيها وحدقت الى شكلها في المرآة بفتور. سألته بهمس مرتعش:

ـ هل ابتعتها لهذا الغرض؟ كي لا اخجلك أمام اصدقائك؟ كي لا يقول الناس ان دايونيسوس ميكونوس يبخل على زوجته، بغض النظر عن تصرفها المشين السابق؟

اجابها متجهماً:

ـ ابتعتها لظني بأنك لن ترغبي في لبس المجوهرات التي تركتها هنا يوم رحيلك! الآن، هيا بنا، ان والدي ونيكوس وكاساندرا في انتظارنا.

لم تقل شيئاً، تناولت دثاراً شفافاً وخرجت امامه من الغرفة. من الواضح ان مظهرها لم يحدث لديه اي انطباع، وهذه ليست بداية طيبة للمحنة الأخرى التي تنتظرها.

كانت الحفلة مقامة على ظهر اليخت اندريا ستانغوس، الراسي قرب المرفأ الرائع حيث المقر الرئيسي لنادي اليخوت الاغريقي. كانت فرصة

للرجال كي يناقشوا شؤون العمل في اجواء مريحة للاعصاب، في حين تتجمع زوجاتهم في حلقات كي تتناقلن الشائعات المستجدة. لقد حضرت مارثا العديد من هذه الحفلات في ما مضى، لكنها شعرت هذه الليلة بتوتر ورهبة، سيما ان وجودها سيكون المصدر الرئيسي للغط والتساؤلات.

قصدوا الحفلة في سيارة ليموزين سوداء، فيها صفّان من المقاعد الفخمة التنجيد اضافة الى المقعد الامامي. جلست مارثا في المقعد الخلفي بين حماتها وسلفتها كاساندرا، زوجة نيكوس فيما احتل الرجال الثلاثة المقعد الاوسط. كانت البداية المعتادة لكل سهرة، حيث ينفصل الجنسان باكراً عن بعضهما. بدأت مارثا تحس صداعاً خفيفاً بسبب خشيتها من لقاء سائر الزوجات اللواتي شجبن موقفها على ما يبدو.

قالت السيدة ميكونوس، مخاطبة كنتها الاخرى عبر مارثا:

ـ كيف حال ساندرو الصغير، هذه الليلة؟

تكلمت باليونانية، لكن مارثا فهمت عبارتها بسهولة لأن معرفتها للغة بدأت تعود اليها مع مرور الأيام.

ابتسمت كاساندرا لحماتها، وهي امرأة مكتنزة الجسم، واجابتها برضاء واضح:

ـ تحسن كثيراً. لقد زالت معظم البقع ولم يبق سوى بعض الاحمرار على جلده. شكراً يا ماما.

ـ هذا خبر مطمئن.

اومأت اريادني ميكونوس برأسها الشائب، ثم تقلصت اعصاب مارثا حين استدارت تحدق فيها، معلقة ببرود:

ـ اعتقد اننا سنتعرف قريباً على حفيدتنا الأخرى. انتظرنا رؤيتها خمسة اعوام، فلن يضيرنا ان ننتظر اسبوعاً آخر.

احتارت مارثا في ايجاد الجواب المناسب، لكن دايون استدار على مقعده وواجه أمه قائلاً بهدوء:

ـ انت تعرفين الوضع يا ماما. اخبرتك ان جوزي تحتاج الى وقت كاف كي تتكيف مع اجوائها الجديدة. لم يكن من الحكمة ان ننقلها بسرعة الى اثينا، لاسيما في هذا القيظ، كما انك ستزورين الجزيرة بنفسك بعد

بضعة ايام.

هذا الخبر الجديد بالنسبة الى مارثا جعلها تبحث عن تفسير له في عيني زوجها، الا انه استدار بسرعة كي يرد على سؤال وجّهه اليه والده. اما والدته فتقبلت تفسيره بحركة يدوية عبّرت عن رغبتها في اقفال الموضوع.

ابتسمت كاساندرا لمارثا وقالت بلطف:

- كلنا يتطلع الى التعرف على جوزي.

كانت في سن مارثا تقريباً، انما تختلف عنها كثيراً من حيث الشخصية، كونها لا تطلب من حياة زوجها اكثر من الجزء البسيط الذي يمنحه لها.

اعلنت حماتها باستخفاف:

- جوزي! لا ادري من الذي اختار للطفلة اسماً كهذا! كان يجب ان يطلق عليها اسم لويز او كريستينا.

اجابتها مارثا بهدوء:

- كانت والدتي تحمل اسم جوزفين.

لاذت السيدة الكهلة بصمت واضح الاستياء، لكن كاساندرا عادت تسأل سلفتها باهتمام:

- انها في الخامسة من عمرها، أليس كذلك؟ ساندرو في سنها أيضاً. سوف يتشاركان اللهو واللعب.

تجاهلت مارثا استياء حماتها، واجابت سلفتها قائلة:

- نعم. هل مرض ساندرو مؤخراً؟ سمعتك تقولين هذا قبل قليل. ان الطفح الجلدي مزعج جداً في هذا الحر.

اومأت كاساندرا وقالت مفسرة:

- اصيب بالحصبة. مسكين ساندرو! لقد عانى منها الامرّين لكنه مسرور الآن بشفائه ويتشوق الى زيارة الجزيرة.

استطاعت مارثا ان تخفي ذعرها من قدوم هذا العدد الكبير من الزوار. هل يُتوقع منها ان تقوم بواجب المضيفة تجاههم جميعاً؟ هل سيكون اليكس هناك، ام ان هذه المناسبة ستكون واحدة من تلك المناسبات، حيث ينصرف الرجال الى أعمالهم وتبقى زوجاتهم لرعاية الصغار؟

كان اليخت شعلة من الأضواء الملونة ومنارة صوتية من الموسيقى

والاحاديث المتبادلة. كان هناك طعام وفير، ورقص للذين تحمسوا له وانجذبوا الى الحلبة التي اقيمت على ظهر المركب. بدا لمارثا انه اشبه بباخرة سياحية اكثر مما هو يخت خاص، انما سيسهل عليها، في هذه الحال، ان تضيع وسط عشرات الضيوف الآخرين.

كان اندريا ستانغوس، صاحب اليخت، رجلاً قصيراً مكتنز الجسم، التقته مارثا عدة مرات، في ما مضى، بحكم الزمالة المهنية التي تربطه بالعائلة. اما زوجته فتشبهه في الشكل، مع ان سترته البيضاء الرسمية بدت بسيطة ازاء الخواتم والاساور التي تغطي معصميها وأصابعها.

قوبل وصول مارثا بمشاعر مختلطة. استقبلها الجميع بتهذيب بالغ، الا انها احست بالتساؤلات والوشوشات الخبيثة التي تبودلت من وراء الأكف الساترة للأفواه. تساءلت، كيف يقدر دايون ان يظهر كل هذه اللامبالاة ازاء سخطهم المكتوم؟

بعد اتمام التعريفات وعودة الضيوف الى متابعة احاديثهم، اغتنمت مارثا الفرصة وانسلت بعيداً من دون ان يلاحظها احد.

ارتكزت على حاجز اليخت واخذت تراقب تراقص الالوان على سطح المياه. كان مساء جميلاً بعد ان تحول قيظ النهار الى دفء ناعم، واحست بالعتمة تلفها مثل معطف مخملي.

- اترغبين في كأس شراب؟

اجفلها الصوت الخشن الذي انبعث خلفها، ولم يخفّ تركيزها القلق حين استدارت وتعرفت على زوجها. تناولت منه الكأس بتردد واضح، فتابع يقول:

- ما قصدك من هذا التصرف الأحمق؟ أنا لم أجلبك الى هنا كي تقبعي في الظلال، آملة ان لا يلحظ أحد غيابك حتى انتهاء السهرة.

رشفت رشفة من شرابها وغمغمت بارتعاش:

- ما أعمق فهمك لنفسيتي! لماذا جئت بي الى هنا يا دايون؟ كي تذلني وتحرج موقفي؟ ام لتزهو بسلطتك علي أمام اصحابك؟

تنهد دايون وارتكز على الحاجز الى جانبها. حدق في البحر شارداً وسألها بفتور:

- هل ستصدقين ان قلت اني لم أفعل ذلك لأي سبب من هذه الأسباب؟ لقد عدنا الى حياتنا الزوجية يا مارثا، ولا اجد داعياً لاخفاء هذه الحقيقة.

لاذت بالصمت فاستدار اليها مستوضحاً بنفاد صبر:

- هل لنا ان ننضم الى الضيوف، ام تريدينهم ان يتصوروا بدقة ما نفعله الآن في هذا الجزء المنعزل من المركب؟

- عد الى الحفلة... ان شئت. أنا أفضل البقاء هنا. في هذا الهدوء. كما اني احس صداعاً.

- احقاً؟ لقد داهمك في الوقت المناسب!

قالت مدافعة عن نفسها:

- بل انه غير مناسب بالمرة.

ترددت قليلاً ثم تابعت:

- انت تعلم اني اذا عدت الى هناك، سأصبح عرضة لامتعاضهم البالغ من جرأتك على الاتيان بي الى الحفلة.

- اتظنين حقاً اني اتيت بك لاتخلى عنك في اللحظات الحرجة؟

- ألم تفعل ذلك دائماً؟

ابتسم بمرارة وقال:

- ربما في الماضي، قبل ان ادرك بعض الحقائق.

- ماذا تعني؟

قال وهو يحضن ذراعها بأصابعه:

- تعالي، لن اتخلى عنك الليلة ولا في أي وقت في المستقبل.

اتسعت عيناها دهشة من تصريحه، لكنه سارع الى دفعها أمامه على ظهر اليخت. فكرت بيأس، انه يدلي بتصريحات كهذه من دون ان يحسب حساباً لنتائجها، وهي لا تستطيع ان تتابع العيش وسط هذا الغموض.

دخولها مع دايون، جعل الزوجات الكهلات وزميلاتهن الأصغر سناً، يتقبلن مارثا كواحدة منهن. فالى جانب نفوذه الواضح في محيط ازواجهن المهني، كان دايون رجلا محبوباً، والعداء الذي يظهرنه لزوجته، ينتج عن الغيرة في معظم الأحيان. لم يعجبهن ان يتقبلن هذه الفتاة الانكليزية في وسطهن، لكن هذا الاستنكار الذي اخمد مؤقتاً لدى زواجهما، سرعان ما

انبعث مجدداً حين تصرفت مارثا بتلك الطريقة الشائنة. لذلك صعب عليهن ان يتقبلن حقيقة هذا التصالح، والزمن وحده هو الكفيل باقناعهن بأن دايون لم يرتكب غلطة ثانية باسترجاعها.

لم تلاحظ من قبل وجود جوليا كورياكان، لكنها رأتها الآن تستأذن من رفيقها وتتجه صوبهما، حيث كانا يتحادثان مع رجل سياسي وزوجته. هتفت جوليا مخاطبة دايون باليونانية كعادتها:

- عزيزي! حسبت انك لم تصل بعد. كنت اتكلم مع ابويك قبل قليل، لكنهما لم يخبراني بانك هنا... مع زوجتك.

ضغط دايون بيده على خصر مارثا ليمنعها من التراجع وأجاب جوليا بدماثة:

- جئنا معاً. انت تعرفين الدكتور سيبرودون وزوجته، أليس كذلك؟ كنا نتذمر من القيظ الذي ألهب المدينة هذا النهار.

- أوه، صحيح.

وزّعت ابتسامتها الخفيفة على رفاقه الثلاثة ثم استدارت اليه تقول معاتبة:

- توقعت حضورك الى اكاديمية الفنون هذا الصباح، انما يبدو انك نسيت معرضي الصغير لسبب ما.

رمقت مارثا بنظرة مزدرية جعلت حمّى غضبها تضرّج وجنتيها. اذن، لم يستنكف دايون عن ضرب موعد مع امرأة اخرى، حتى اثناء وجودها في اثينا! اي ثمن ستدفعه الآن بعد كلامه الخاوي عن المصالحة؟

صمت الضيفان الآخران بحرج، لكن دايون هتف ضارباً جبينه بكفه:

- يا الهي! اني اعتذر. لقد نسينا معرض براتو.

نسينا؟ كان يتحدث بلسانها معاً. شعرت مارثا بمزيج من الارتياح والاستياء، فيما عجزت جوليا عن اخفاء غيظها لكنها سرعان ما تمالكت مشاعرها وقالت بليونة:

- لا شك ان ثمة اموراً اخرى تشغل بالك في الوقت الحاضر، يا عزيزي.

- صحيح.

اشتد ضغط اصابعه على خصر زوجته وتابع:

ـ أنا واثق من ان زوجتي كانت ستسر بمشاهدة لوحات صديقك، لذلك اكرر اعتذارنا.

ثم خاطب زوجته:

ـ لقد اخبرتك ان جوليا ترعى الفن والفنانين، ألم أفعل، يا حبيبتي؟

ارتعشت لكلمته التحبيبة لكنها حين واجهت تحديقه الدافىء شعرت بالاضطراب. من السهل ان تقنع نفسها بأنه ما تصرف هكذا الا ليثبت حبها للضيفين الواقفين معها ولينفي شكوك الضيوف الآخرين. مع ذلك عجزت عن تحدّيه تحت وقع نظراته الحانية، فقالت اخيراً وهي تواجه جوليا:

ـ نعم... اخبرتني. انها تبدو هواية ممتعة. ربما استطعنا ترتيب موعد آخر لحضور المعرض.

قالت جوليا بغضب واضح وازدراء:

ـ لا اظن ذلك، اذ يبدو ان مسؤولياتك الحالية، يا دايون، لا تتيح لك وقتاً للاستمتاع. ربما من الأفضل ان تتصل بي عندما تتحرر قليلاً... من تبعاتك.

اهانتها الصريحة احرجت مارثا كثيراً. انها لا تعلم شيئاً عن مدى ارتباط دايون بجوليا، لكن مهما كان نوع علاقتهما، فلا يمكنها ان تصمت على هذه الاهانة المكشوفة. فتحت فمها لتدافع عن كرامتها الا ان دايون بادر الى القول بنبرة لطيفة، كذّبت صلابة كلماته الباترة:

ـ من الليلة فصاعداً، لم يبق هناك ما نقوله لبعضنا البعض، يا جوليا. يبدو لي انك تعانين من سوء فهم معيّن لمشاعري نحوك. يؤسفني ذلك.

ابتسم قليلاً كأنه يسخر من اعتذاره وتابع:

ـ لا بد انك كنت تعرفين اني رجل متزوج وان لدي طفلة. لا انكر انك شابة جذابة، لكنني لا احتاج الى صديقة.

كان تصريحاً فظاً وقاسياً، حرك في قلب مارثا بعض الشفقة على الفتاة الاخرى، بل انها ارتعشت حين غمغمت جوليا مستأذنة من الزوجين سيرودون، قبل ان تختفي وسط الناس المحيطين بموائد العشاء.

بقي دايون قابضاً على ذراع مارثا وقال معتذراً بدوره:

ـ أسف لما حدث، والآن، نستأذنكما بالانصراف...

قاد زوجته الى حلبة الرقص الضيقة، واحتواها بين ذراعيه بحب واثق قبل ان تجد وقتاً لمعارضته. كانت الدقائق الماضية مرهقة لكليهما، ومع انها ارادت ان تستوضحه بعض الأمور الا ان ضعفها الحالي حال دون ذلك.

قالت موضحة:

ـ لكنك لم تخبرني عن معرض جوليا.

ـ كلا، لم أفعل. لكنني لم اشجعها أيضاً على ملاحقتي.

ـ اذن، انت تعترف بانها فعلت؟

تراجع قليلاً لينظر الى وجهها وعلق بجفاف:

ـ لا أصدق بانك تغارين منها، فكلمة الغيرة لا مكان لها في قاموسك، على ما اذكر.

ـ هذا صحيح. لكنك لم تجبني على سؤالي.

ـ حسناً، كانت هناك امرأة او اثنتان داعبها الأمل، ربما، بأن تتوصلا الى الزواج مني. ان القلادة حول عنقك، تكفي وحدها لحمل عدد من النساء على مصارحتي بأحر عبارات الغرام.

قالت بابتسامة متوترة:

ـ انك تبخس نفسك قدرها يا دايون، فانت كنز ثمين بحد ذاته.

ـ أوتظنين هذا؟

ـ أنا لست موضوع حديثنا، لكنك لو سألتني هذا في الماضي، لاجبتك بالايجاب.

ـ في الماضي؟ كم انت رومانسية يا حبيبة قلبي.

احنت رأسها وقالت:

ـ متى سنغادر؟ ما دمت قد اثبت قدرتك على تحريكي تبعاً لمشيئتك، فهل لنا ان نعود الى بيتنا؟

رد ساخراً:

ـ بيتنا؟ هل اجسر على التصديق بانك، مثل جوزي، بدأت تعتبرين هذا المكان بيتاً لك؟

تحاشت النظر اليه وقالت بتوسل:

- لا ترهقني بهجماتك يا دايون.

في النهاية، غادرا الحفلة قبل الآخرين. اشتد صداع مارثا، وعندما اتضح لدايون ان صديقاً له سيغادر مع زوجته في الحادية عشرة، عرض على مارثا ان يعودا معهما في سيارتهما. لم يبد مكترثاً باستياء والديه من هذا التصرف، واسترخت مارثا على المقعد الخلفي بارتياح.

لدى وصولهما الى الفيللا التي بدت خالية في غياب أرسطو واريادني، عبرت مارثا الردهة الرخامية وهي تشعر بارتياح لأنهما عادا بمفردهما، وبات بامكانها ان تأوي الى فراشها من دون ان تضطر الى سماع شروحات حماتها وانتقاداتها المحتومة. حتى صداعها بدأ ينحسر بفعل البرودة داخل البيت، مع ان زوجها اخطأ فهم تنهيدة الرضا التي اطلقتها، اذ قال لها وهو يتجه الى غرفة الاستقبال الرئيسية:

- اذهبي الى فراشك. سأشرب كأساً ثم اصعد بدوري لانام. سنعود غداً الى الجزيرة، لكن اتركي حقائبك في متناول اليد لأني سأغادر الى نيويورك في غضون عشرة أيام.

توقفت على الدرج وهتفت:

- نيويورك! لكنني...

- ستذهبين معي. ألم يتضح لك مقصدي بعد؟ لقد استخدمت مربية مناسبة لجوزي لأني لا أريدها ان تعاني من جراء تصرفاتي.

لعقت شفتيها بحيرة، فهز كتفيه واختفى داخل الغرفة، تاركاً اياها تفكر في هذا التطور المفاجيء. سوف يصطحبها الى نيويورك كي يبسط علاقتهما المتوترة الى مناطق جديدة لم يسمح لها بدخولها من قبل. هل سينتقم منها بهذه الطريقة ام ان لديه دوافع معينة لا تستطيع ان تحددها؟

في غرفة النوم، كان المصباح المضاء الى جانب السرير يرسل شعاعاً خافتاً على الاثاث الداكن والستائر الحريرية.

ألقت دثارها جانباً وتخلصت من حذائها العالي الكعب. نزعت القلادة والقرطين، واخذت تذرع ارض الغرفة وافكارها المتلاطمة تحول دون استرخائها. سألت نفسها بحيرة وتقطيب، ماذا يحاول دايون ان يفعل بها؟

اذا اصطحبها الى نيويورك فأي فائدة سيجنيها من وجودها، سوى ان يجعل منها هدفاً لتفجير أحقاده؟ ألم يكفه ما اثبته الليلة من سلطة؟

جلست على السرير ونزعت جواربها فيما القلق يوسع بؤبؤيها. كلا، لا يمكنها الاستمرار على هذا النحو. لا مناص من حدوث الانفصال مهما بلغت التضحية. ان المشكلة لا تكمن في تصرفه الحالي تجاهها، مع انها تعاني الامرّين من احتماله، بل المشكلة في الطريقة التي يحرك بها مشاعرها تجاهه، وادراكها بأن تصرفه المجنون لدى ولادة جوزي بدأ يفقد أهميته ازاء الرغبة الملحة التي يثيرها فيها.

دخلت الى الحمام ذي الالوان المنسجمة مع غرفة النوم.

ترددت قليلاً ثم فتحت الحنفيتين. كانت تستعمل الدوش في الأيام السبعة الماضية، لكنها رغبت الآن في التمتع بمغطس معطر المياه، علّ ذلك يساعدها على النوم. اضافت الى الماء محتويات قمقم من املاح الاستحمام، وابتسمت راضية حين اخذت فقاقيع الصابون تتزاحم على سطحه.

غمرها الدفء فاطبقت عينيها في استرخاء ناعس وسط الجو البخاري. نسيت كل شيء عن الحفلة وعن تصرف جوليا الكريه، وتذكرت فقط ملمس زوجها وهو يدور بها راقصاً على الحلبة الصغيرة.

- مارثا! مارثا، ماذا تفعلين هناك؟

تناهى اليها صوت دايون آتياً من مكان بعيد، ففتحت عينيها ببطء ووعت انه يطرق باب الحمام.

عاد يهتف بقلق وحدة:

- مارثا! اجيبيني! أحدث لك شيء؟

رفعت جسمها لتتخذ وضعاً مريحاً واجابته:

- أنا بخير. اني استحم. سأكون معك بعد دقيقة.

اتضح لها سبب قلقه حين رأت قدميه الحافيتين والروب المربوط بارتخاء، فخمنت انه اراد استعمال الحمام أيضاً.

قال بصبر نافد:

- اتعلمين انك هنا منذ نصف ساعة واكثر؟ حسبت انك تعرضت لأذية

ما. لم ادرك انك كنت تغطين في نوم قصير!

ـ ما هم لو فعلت؟ آسفة ان كنت تنتظر دورك لتستعمل الحمام.

اجاب بحدة:

ـ لم اكن انتظر. هناك حمامات كثيرة غير هذا، لكنني لم استعمل احدها لأني كنت قلقاً عليك.

ـ آسفة.

استوت جالسة في كرسي، ووعت بأن هذه الحركة جعلت نصف جسمها الأعلى ينكشف لنظرته الغاضبة. تابعت تقول:

ـ كان يجب ان تسرع في قرع الباب. لم احسب انك ستلاحظ تأخري اذ قلت انك ستشرب كأساً.

قال مقلصاً قبضتيه:

ـ قلت سأشرب كأساً وليس زجاجة بكاملها. ظننت في البداية انك في مكان آخر ولما بحثت ولم اجدك فكرت في الحمام.

كانت ما تزال مرتبكة بعد استيقاظها المفاجيء. سألته وقربه يعذبها:

ـ هل كنت ستستحم يا دايون؟ الهذا السبب لبست الروب؟

مدت يدها ولمست الروب لكنه اجابها بخشونة:

ـ ليس مهماً ما كنت اعتزم فعله.

لذ لها اضطرابه فقالت تستفزه:

ـ استحميت تحت الدوش قبل ان اخرج، الا انني فكرت ان المغطس قد يساعدني على الاسترخاء، وهذا ما حصل.

هتف بصوت معذب:

ـ مارثا! ماذا تحاولين ان تفعلي بي، بحق السماء؟

رددت كأنها لم تفهم قصده:

ـ ماذا أحاول ان أفعل بك؟ لا شيء على الاطلاق. كنت استحم، هذا كل ما في الأمر. اعتذر ان كان منظري يؤذي مشاعرك.

اشاح عنها وقد تقلصت كتفاه بفعل عاطفة كان يحاول جاهداً ان يكبتها. عجزت عن احتمال المزيد، فمدت يدها نحوه وهمست:

ـ دايون! لا تذهب، ارجوك...

توقف مكانه لكنه ظل مشيحاً عنها. تنهدت بضيق ثم جثت على ركبتيها.

ـ دايون، هل تذكر كيف كنا فيما مضى؟ أتذكر كيف كنا نتشارك... كل شيء؟

تأوه قائلاً:

ـ يا الهي! اتريدينني ان احتقر نفسي اكثر مما احتقرتها؟

نظر اليها، ولما هزت رأسها بصمت، عجز عن مقاومة اغرائها فهتف محتجاً:

ـ هذا جنون!

ـ اريد حبك.

همست له وحميمية عناقها تعطل انضباطها وتعقلها.

غمغم بدوره، وعيناه نصف المطبقتين تلتهمان جمالها:

ـ هذا مبتغاي. لا أظن انك ستتمكنين الآن من ايقافي...

خيل اليها انها تحس وضعاً شبيهاً بالغرق مع فارق ان القدر الرهيب لا يقدم اليها شيئاً يوازي الاحاسيس الرائعة التي يثيرها فيها. الا ان انعتاقها من الارادة الضابطة لتصرفاتها كان شبيهاً بورقة نبات تنساق مع المد حالة مستسلمة، ثم ما عادت تحس شيئاً سوى الدفء ودايون، والمشاعر الجارفة...

١٠ـ قالت له: «لن اتحمل عذاب فراقنا من جديد». فأجاب: «أنت لن تحتمليه أما أنا، يا حبيبتي، فأظن انه سوف يقتلني!».

استيقظت مارثا في الصباح التالي وهي تشعر بارتياح عارم. لقد تغيّر كل شيء بعد الذي حدث ليلة أمس، اذ باتت على قناعة تامة بأن دايون يحبها، بغض النظر عن تصرفاته السابقة.

استلقت على جنبها الآخر، واضطربت قليلاً حين وجدت مكانه خالياً. علت جبينها تقطيبة حائرة، ولما تحسست الفراش اكد لها دفئه ان دايون لم يغادره الا قبل فترة وجيزة.

استدارت مجدداً ونظرت الى الساعة القريبة من السرير. دهشت حين اكتشفت ان الوقت تجاوز الحادية عشرة. لشد ما تأخرت في النوم! لا عجب انها لم تجده قربها.

ابتسمت برضاء ثم ارتدت الروب الساتاني الذي ألقته مساء امس على احد المقاعد.

كانت تسرح شعرها المشوش عندما سمعت طرقة لطيفة على باب الغرفة. قفز قلبها لظنها بانها سترى زوجها، لكن الطارق لم يكن سوى الخادمة ايرين، التي دخلت الجناح، ثم ابتسمت بخجل وغمغمت في شبه اعتذار:

ـ طلب مني السيد دايونيسوس ألا اوقظك يا سيدتي.

فطمأنتها مارثا قائلة بلغتها:

ـ لا بأس يا ايرين. لكنني أود الحصول على قهوة منعشة. أتعرفين اين ذهب السيد دايونيسوس؟

ـ أغلب الظن انه خرج مع السيد ميكونوس. سآتيك بالقهوة سريعاً، يا سيدتي.

بعد انصرافها، هبطت معنويات مارثا قليلاً، لأنه غادر البيت بسرعة. لكن لا موجب لقلقها ما داما سيعودان الى الجزيرة بعد الظهر. أجل، ستحظى قريباً باهتمامه التام، وهذه الليلة...

رفضت الاستسلام لهذه الافكار المقلقة لعواطفها، ودخلت الى الحمام لتغتسل. أخذت تنظف اسنانها بقوة كي تحول افكارها الى مجرى آخر.

كانت قد ارتدت بنطلوناً قطنياً ضيقاً وبلوزة طويلة من الدانتيل عندما عادت ايرين تحمل صينية القهوة. اتسعت عيناها اعجاباً بمظهر مارثا الفاتن وهتفت بشيء من الحسد:

ـ تبدين شابة غضة، كأنك لست أماً لابنة في الخامسة.

شعرت مارثا بقرصة ندم حين وعت كم خف تفكيرها في جوزي منذ ان عادت الى دايون. سكبت القهوة الساخنة ثم قالت وهي ترشفها باستحسان:

ـ ما ألذها! هل لك ان تشكري السيدة ماركوس بالنيابة عني؟

فاعترفت ايرين قائلة بخجل:

ـ انا صنعتها بنفسي. ان السيدة ميكونوس طلبت ان تراك، وحدست انك لن تدعيها تنتظر طويلاً.

سألتها مارثا وهي تحس اضطراباً خفيفاً:

ـ السيدة ميكونوس؟ اريادني تطلب رؤيتي؟ يا الهي! لماذا؟ أتعرفين السبب؟

ـ آسفة، كل ما اعرفه ان السيدة ميكونوس طلبت التحدث اليك حال انتهائك من لبس ثيابك. انها تنتظرك في غرفة المكتب.

تنهدت مارثا، لكنها اومأت لايرين بتفهم وشكرتها على القهوة وعلى تبليغ الرسالة. ثم غمغمت كأنها تخاطب نفسها:

ـ اعتقد انها تريد معرفة السبب الذي جعلنا نغادر الحفلة باكراً ليلة امس.

ثم اضافت:

ـ هل لك ان تعلمي السيد دايونيسوس بمكاني اذا عاد في هذه الاثناء؟
فأكدت لها الخادمة بانها ستفعل.

عندما اعلنت مارثا عن قدومها ووقفت على عتبة غرفة المكتب، تأملتها حماتها بنظرات جامدة، كونها لا تحبذ ارتداء المرأة للبنطلون. لم تلبس واحداً في حياتها، اما كنّاتها الاخريات فلم يعارضنها من هذه الناحية، لأن اجسامهن المكتنزة، لا يناسبها هذا النوع من اللباس.

قالت تخاطبها بالانكليزية هذه المرة:

ـ لقد قررت أخيراً ان تستيقظي. توقعت، بعد نومك المبكر ليلة امس، ان... كيف تعبّرون عن ذلك؟ آه، ان تستيقظي مع العصافير.

قالت مارثا بطريقة آلية:

ـ القبّرة. نستيقظ مع القبّرة.

ذكرت ذلك كتوضيح، مع ان شفتيها اختلجتا قليلاً حين تذكرت السهرة الطويلة بتلذذ. فكرت بمرح، ماذا ستقول حماتها لو علمت بحقيقة ما حصل! تابعت قائلة:

ـ آسفة. لم أعلم بانك كنت تنتظرين نهوضي كي تتحدثي الي.

ـ لا. لا اعتقد انك عرفت ذلك.

اشارت الى مقعد منجّد تحت النافذة وقالت:

ـ هل لك ان تجلسي؟ أظن ان هناك أشياء يجب ان نبحثها سوية.

تذكرت مارثا مناسبة أخرى، عندما دعاها أحد والدي دايون الى الجلوس ورفضت ذلك بتهذيب. هذه المرة أيضاً، ستصغي الى الكلام وهي واقفة. لوّحت حماتها بيديها دلالة عدم الاكتراث، واختارت الجلوس على اريكة مريحة، فخمة التنجيد. لملمت اطراف ثوبها الطويل وقالت:

ـ حسناً. ربما حدست بأني ارغب في التحدث عن ابني. أريدك ان تخبريني بالضبط عن الوضع القائم بينكما.

ـ الوضع؟

هزت كتفيها بحركة رشيقة لتكسب الوقت ثم قالت:

ـ لكنك تعرفينه يا سيدتي.

ـ كيف ذلك، وانت تصرين على مخاطبتي بالسيدة، بدل ان تقولي ماما

تبعاً لرغبتي التي تعرفينها؟

ـ آسفة.

هزت اريادني رأسها وقالت:

ـ لا بأس. اني مقتنعة بأنك ستعتادين على رفع الكلفة مع مرور الوقت.

بعد التصرف الذي صدر عن دايونيسوس مساء امس، لم يعد هناك اي شك في انه يعتزم مطالبتنا بتقبلك.

صمتت قليلاً، فتململت مارثا انزعاجاً من تحديقها.

ـ تعرفين بالطبع من قصدت بكلامي.

اومأت مارثا وقالت:

ـ الآنسة كورياكان.

ـ اجل، الآنسة كورياكان، كما تقولين. لكن ابني اساء أدبه معها على غير عادة. في أي حال، هذا ليس بيت القصيد في نقاشنا.

ـ لا، يا... يا ماما.

تقبلت الكهلة هذه المحاولة الاسترضائية بابتسامة خفيفة ثم قالت بنبرة اكثر جدية:

ـ اني ارغب في ان يعيش دايونيسوس حياة هانئة في المستقبل.

فوافقتها مارثا بلهفة:

ـ هذه هي رغبتي ايضاً.

قطبت حماتها ثم قالت مؤكدة:

ـ لكن، لا يسعك الانكار بانك جعلت حياته عذاباً محضاً في الماضي. لن أرضى بأن يحصل ذلك ثانية.

اعلنت مارثا من دون تردد:

ـ لن يحصل. أنا احب دايون... يا ماما. احببته من قبل، وسأحبه دائماً.

ـ لكن، هل يمكنك الانكار بانه اضطر الى... الى ابتزازك معنوياً كي يقنعك بالمجيء الى الجزر؟

ـ هل اخبرك القصة؟

ردت حماتها بكبرياء غاضبة:

- كلا، لم يقل لي شيئاً... من النادر ان يفعل. علمت ذلك من اليكس، الذي اقلقه وضع دايون. جميعنا تعذبنا من اجله، وهذه الأيام الماضية لم يعد الينا الاطمئنان المنشود. اوه، لا انكر بانكما تخرجان معاً وتتشاركان الجناح نفسه لكنني علمت ان دايونيسوس ينام في غرفة اللبس، وانكما لا تكلمان بعضكما بتهذيب الا في حضور العائلة اثناء تناول الطعام.

احنت مارثا رأسها وتوردت وجنتاها خجلاً. قالت متلعثمة:

- نحن... أنا، اقصد ان الامر لم يكن سهلاً بالنسبة الينا يا ماما. لقد احتجنا... الى بعض الوقت.

- هل انتهت هذه الحاجة؟

رفعت الشابة رأسها وقالت:

- نعم، لا اعتقد ان دايون سينام في الغرفة الاخرى بعد اليوم.

- فهمت.

حدقت فيها بامعان، فوجدت مارثا صعوبة بالغة في مواجهة نظرتها. تابعت حماتها:

- اذن... يسرني هذا. لكن هناك قضية أخرى يجب ان يبت بامرها، اعني قضية اختك. علمت انها جاءت معكم الى الجزيرة.

- هذا صحيح. لكنك تبدين كأنك لست راضية... عن مجيئها.

ردت أريادني بازدراء:

- لست راضية! مارثا، لا تتظاهري بعدم فهمك لمشاعري. ان تلك المرأة كانت أساس البلاء في حياة دايونيسوس وفي حياتنا جميعاً. عندما يتعذب ابني، اتعذب معه ايضاً.

- لم تكن سارة المسؤولة عن انفصالنا يا ماما. هل تساءلت يوماً كيف كنت ستتصرفين لو ان زوجك اتهمك بأن الطفل الذي انجبته منه، هو من صلب رجل آخر؟

- ولماذا اتهمك بذلك؟ أما خطر لك ان تطرحي هذا السؤال على نفسك؟

قطبت مارثا باستنكار متزايد، ثم انفتح باب الغرفة ودخل اليها شخص ما. خشيت ان يكون زوجها، فاستدارت بتردد، وهي ترهب ما قد ترى

من غضب على وجهه، ثم اصطكت ركبتاها ارتياحاً حين التقت عيناها بعينيه الملهوفتين، وقرأت في وجهه ترجمة واضحة لافكاره المناصرة لها. لم تعبأ باستياء حماتها وهرعت اليه بلهفة تطلب حمايته.

طوّق خصرها بيديه، الامر الذي حال دون عناق اكثر حرارة، ادركت انه تقصد ذلك حين نظرت في عينيه الملتهبتين، ثم قال لها هامساً:

- لا تنظري الي هكذا.

راقبت اريادني هذا المشهد بعطف يدعو الى الغرابة، ثم تابعت الحوار موجهة الحديث الى دايون، حيث شرحت وجهة نظرها، الامر الذي اثار في ابنها غيظاً حاداً. نهضت عن الاريكة وهتفت باستهجان:

- استنتجت انك لم تتحدث الى مارثا بشأن اختها. انت غبي يا دايونيسوس! بعد كل تلك السنوات التي هدرت...

قاطعها ابنها بنبرة فظة:

- لن نناقش هذا الأمر ثانية، يا ماما! لقد مات الماضي وانطوت صفحته، لن نبحثه من جديد.

- دايون، لكن...

قال بنظرة جليدية:

- لا، يا ماما. لا أرغب في ذكر الموضوع ابداً. الآن، نستأذنك بالانصراف، علينا ان ننجز بعض الأمور قبل ان نغادر بعد الظهر.

لم يسعها الا ان تسمح لهما بالانصراف، وصعدت مارثا أمامه على الدرج في حالة قلقة.

دخلا الى غرفتهما وقالت بعد ان اغلق الباب:

- يجب ان تطلعني عما كنتما تتكلمان، اعلم انك لا تريد مناقشة الموضوع، لكن أليس من حقي أن أعرف؟

- ليس هناك ما يستوجب علمك يا مارثا، ان والديّ مخلصان كثيراً ولا يبغيان سوى سعادتنا.

- وهل نحن سعيدان يا دايون؟

- هل ندمت على ما حصل ليلة أمس؟

- ندمت؟ كلا، انا لم اندم.

هتف مذهولاً:
- أتظنين انني ندمت؟
- لست أدري. لا أعلم بما تفكر.
جذبها اليه بعنف مغمغماً:
- ان لم تتأكدي الآن من عواطفي نحوك، فلن تتأكدي ابداً. مارثا، انت روحي، انت حبي وحياتي...
ارتعشت ولفت ذراعيها حول عنقه، وأنساها عناقه أية فكرة في التمنع.
همست على الرغم منها:
- وماذا عن جوزي؟
زفر متضايقاً ودفعها عنه قائلاً:
- أما تزال تقف بيننا؟
قالت بحيرة:
- تقف بيننا؟ دايون، اردت فقط أن أعرف...
فأكمل عنها بإعياء:
- كيف يمكنني ان انكر علاقتي بها؟
- كلا، لم اقصد ذلك. دايون، اردت ان اعرف، هل ان جوزي هي التي اعادتنا الى بعضنا؟ هل رضيت بأن تنسى الماضي من اجلها؟
قال مذهولاً:
- من اجلها هي؟
- نعم، ومن اجل نفسك. لأنها ابنتك. لأنني... في هذه الحال، سأضطر الى... التخلي عنها.
- تتخلين عنها؟ اعذريني ان بدوت بليد الذهن، لكنني لا افهم ما تقولين.
قالت وهي تتململ في وقفتها:
- اوه، انت تفهم قصدي... دايون، هل تحبني حقاً؟ أعرف انك تريدني، لكن، هل رغبت في استرجاعي لأنك تريد المطالبة بحقك الأبوي؟
- أهذا ما تظنينه فعلاً، بعد كل تلك الأشياء التي وحدت قلبينا؟

- ليس هذا ما أريد اعتقاده، لكن يجب ان أعرف. لن... أقدر ان أحتمل العذاب اذا افترقنا من جديد.
- انت لن تحتمليه، أما أنا، يا حبيبتي، فأظن انه سوف يقتلني!
- دايون...
- أتدرين ما يجب ان اسألك اياه؟ هل غفرت لي؟ هل انت مستعدة فعلاً لأن تتقبليني كما أنا؟ بالرغم من عيوبي وانانيتي؟
غمرت وجهه بيديها وقالت بصدق وبساطة:
- احبك الآن مثلما احببتك دائماً، لكنني اقنعت نفسي بعكس ذلك كي لا أصاب بالجنون.
- تعلمين انني لم اخطط لما حصل، اردت الانتظار، لأنك لم تجدي الوقت الكافي لتعرفيني من جديد... لتعرفي نقائصي وحبي للتملك. كنت تقولين اني أعاملك كقطعة من ممتلكاتي. هل تؤمنين بصدق، انه بامكانك العيش من جديد مع هذا التملك؟
همست بصوت أبح:
- لن استطيع العيش من دونه، لكنني لا أعدك بان لا نتجادل احياناً بسببه.
- وأنا لن أرضى عن ذلك بديلاً.
تذكرت مارثا ما قاله في الليلة الفائتة فسألته بلهفة:
- هل حقاً ستأخذني معك الى نيويورك؟
أومأ مبتسماً وقال:
- هذا واحد من الأشياء التي اعتزم تغييرها. لقد درج رجال عائلتنا على السفر من دون زوجاتهم، لكنني سأغير هذا التقليد. أريدك ان تكوني معي، كذلك جوزي، احياناً، لذلك استخدمت المربية. لكن سأراعي اكثر من كل شيء ألا اضطرك الى البحث عن التسلية مع رجل سواي.
قالت مبتسمة:
- اني اثق بك، كما تعلم.
- أجل، وأنا لم أثق بك.
- لم أقصد ذلك.

- لا، لكنني اعترف بالحقيقة. هل ستتمكنين يوماً من نسيان تلك الاتهامات؟

- هل ستغفر لي حرماني اياك منها، وايهامك كل تلك السنوات بانك لست والدها...

قاطعها بانفعال:

- ما كان يجب ان اشك فيك!

هزت رأسها وبيّنت له بلطف:

- اننا بشر ولكل منا عيوبه. كلنا نتصرف بأنانية احياناً، ونحتاج الى من يعيد الينا الطمأنينة.

اقترب منها وغمغم بحرارة:

- طمئنيني الآن.

قبيل الغروب حطت بهم الهليكوبتر قرب مرفأ ميكوس. جاء اليكس بنفسه لاستقبالهما ومعه جسم صغير آخر القى بنفسه عليهما حالما هبطا من الطائرة. زعقت جوزي بانفعال:

- ماما! ماما! عمي دايون!

تبادلا نظرة متفهمة وانحنت مارثا لتعانق ابنتها. ثم عانقت الطفلة والدها وسارت بينهما فرحة الى حيث ينتظر اليكس في السيارة. سألتها أمها:

- هل احسنت السلوك يا حبيبتي؟ اصبحت سمراء تماماً، لا بد انك امضيت وقتك كله في حوض السباحة.

تردد اليكس قليلاً قبل ان يحيي مارثا ثم قال:

- اهلاً بك في بيتك يا اختي. يبدو انها كانت رحلة جيدة.

توردت مارثا بخجل فسارع دايون الى انقاذها وقال مبتسماً لأخيه ومراقباً وجهه:

- جيدة جداً. ألا تحسدني قليلاً على معرفتي بذلك، ايها الاخ الصغير؟

اثناء العودة الى الفيللا طرح اليكس اسئلة عامة عن صحة والديه، سير العمل وموعد سفر أخيه الى نيويورك فيما استغلت جوزي الفرصة وروت لأمها ما حصل في غيابها. ثم قالت، مطيحة بهناء مارثا الجديد،

بضربة واحدة:

- ان خالتي سارة لا تحب جيل. اسمتها... فتاة تسعى الى الذهب، وردت عليها جيل بأنها عجوز شمطاء. أليس كذلك يا عمي اليكس؟

بدا اليكس مرتبكاً وقال مؤنباً الطفلة:

- لا يليق بك ان ترددي هذه الأشياء يا جوزي.

ثم ركز على القيادة، لكن حين نظر دايون الى وجه زوجته، ادرك الحقيقة فخاطب اخاه:

- استنتج انك متورط في الأمر. ماذا كنت تفعل؟ تحاول اغواء الفتاة؟

- كلا! ربما اظهرت لها بعض الاهتمام. ولم لا؟ انها فتاة جذابة. لكن لم يحصل شيء يستأهل... ذلك الغضب. كل ما في الأمر ان سارة غيورة، وانت أدرى الناس بهذا!

تجاهل دايون عبارته الأخيرة، وقال:

- اذن، حصلت مشاجرة، ماذا جرى بعد تلك المواجهة؟

- حسناً... سكوت كان حاضراً وحاول تلطيف الأمور.

التفت الى مارثا الجالسة مع جوزي على المقعد الخلفي، وتابع:

- استطاع ان يلين الموقف، ومن حينها بدأ يأخذ سارة معه الى حقول التنقيب.

رددت مارثا غير مصدقة:

- يأخذ سارة؟ لكن كيف استطاع ان يفعل؟

اعلنت جوزي لتشارك في الحديث:

- انهما يذهبان في العربة.

فقال اليكس بجمود:

- يستعملان سيارة الجيب التي تصلح للسير على معظم الأراضي.

رد دايون:

- فهمت. وماذا عن الآنسة باول؟ كيف كان موقفها من ذلك... الجدل؟

تطوعت جوزي بالقول:

- اوه، لقد ضحكت منه جيل في النهاية. كان مضحكاً بالفعل! كل

تلك الوجوه المحمرة غضباً!

تنهدت مارثا فاستدار اليها دايون بيد ممدودة. قبضت عليها فقال يطمئنها:

- لا تقلقي، أعدك بأن أسوي الأمور كلها.

استغربت جوزي هذا العرض العاطفي الغريب، فقالت وهي تسحب يد أمها من قبضة دايون:

- امسكي بيدي يا ماما. باستطاعتي ان اعتني بك، أليس كذلك؟

نظر اليها دايون بحنان وقال برقة وحزم:

- من اليوم فصاعداً، سنعتني بماما معاً. لقد تزوجت أمك منذ وقت طويل يا جوزي، وسوف اعتني بها الآن.

لم تتوقع مارثا ان يطلع ابنتها على الحقيقة في هذا الظرف. بل ربما بعد بضع سنوات، حين تصبح جوزي اكثر قدرة على استيعابها. لكنها ادركت الآن انه احسن التصرف، لأن الصغار يفهمون الحقائق ببساطة تتناسب مع سنهم، في حين حكمت هي على الوضع من وجهة نظر الراشدين، فلم تر بساطته بل رأت المصاعب الناجمة عنه. ان زواجها سيعني لجوزي مجرد علاقة حميمة بين أمها ودايون.

مع ذلك، كانت جوزي كبيرة كفاية كي تفطن الى ان هذه العلاقة الحميمة قد تحرمها من حقوقها في عواطف أمها. لذلك استدارت اليها وقالت دامعة العينين متجهمة الوجه:

- لم أردك ان تتزوجي! لا أريد ان اتشاركك مع عمي دايون!

تنهدت مارثا وقالت شارحة لها الوضع بجدية:

- حبيبتي، أنا لم اتزوج لتوي بل كنت متزوجة منذ أعوام. كل ما في الأمر... أننا انفصلنا عن بعضنا في تلك الفترة. لكن الانفصال انتهى وعدنا الى حياتنا السابقة. الآن سيكون لك بابا وماما.

- عمي دايون ليس والدي! قال انه صديق لوالدي.

قال لها دايون بلطف:

- آسف يا جوزي، لو اخبرتك ذلك قبلاً لما صدقتني.

- هل يعني هذا اننا سنعيش هنا دائماً؟

- هنا... أو في اثينا. وقريباً ستتعرفين على عماتك وأعمامك وأولادهم، كذلك على جدك وجدتك.

انتعشت فوراً وسألت بلهفة:

- ألدي ابناء عم؟ حقيقيون؟

قالت أمها:

- لديك الكثير منهم.

- لكن ليس لدي أخوة أو أخوات.

فقال دايون:

- ليس الآن.

شهقت بدهشة وهتفت تسأل أمها:

- أمن الجائز ان تنجبي طفلاً؟ طفلاً حقيقياً؟

- قريباً، على ما أرجو.

نظرت الى زوجها من فوق رأس جوزي، مدركة انهما قد تخطيا هذه العقبة. لدى ترجلهما من السيارة، قربها دايون منه وقال محدقاً فيها بنظرة حانية:

- هل ضايقك ذلك؟ أقصد إخبار جوزي بالحقيقة؟

- ولم أتضايق؟

فاعترف بصوت أجش:

- لم أشأ أن ازود سارة بسلاح تسلطه علينا. ما دامت جوزي قد عرفت فلا أحد سيتمكن من ايذائها.

كان أهل البيت مجتمعين في الباحة لاستقبالهم، ورأت روجر يجلس بين سارة وجبل. بدا عليه الارتياح لوصولهم وهتف بعد ان قبلت مارثا خد اختها المتقلص:

- تبدين اكثر راحة واسترخاء! من كان يظن انك سترتاحين في مدينة كاثينا في حين لم تسترخي طيلة وجودك هنا؟

ابتسمت لها جيل مرحبة، وقالت:

- ربما أفادك التحرر من المسؤولية. تبدين بصحة جيدة يا سيدة

ميكونوس. هل كانت الرحلة جيدة؟

- كانت رائعة!

اكدت لها بدفء، محاولة ان تتجاهل تحديق سارة العدائي. استأذنت جيل لتطلب احضار الشاي، واقبلت جوزي تقفز طرباً وتغرد قائلة:

- اصبح لي ماما وبابا!

فخرجت سارة عن صمتها وقالت لمارثا:

- استنتج انك اخبرتها. ألا تظنين انك تصرفت بوقاحة نسبة الى الظروف الراهنة؟

- أية ظروف؟

ثم التفتت الى زوجها بارتباك فتقدم منها وألقى ذراعه حول كتفيها، وسأل سارة بقسوة وجمود:

- أجل، أية ظروف يا سارة؟ ماذا اردت من مارثا ان تفعل؟ أن تظل أرملة بقية حياتها؟ ان تكفر باستمرار عن غلطة حبها لي؟

لم تقدر مارثا ان تشهد مزيداً من هذه المعارك فقالت:

- دايون... ارجوك...

لكن سارة اصرت على مواجهته فاجابته بحقد:

- اذن، انت تعترف بأنها كانت غلطة يا دايون. الهذا السبب سارعت الى التخلص منها، ولم يهمك حتى، ان تنكر أبوتك للطفلة؟

- سارة، أني احذرك...

تحرك اليكس بارتباك قصد ان يهدىء الموقف لكن روجر سارع الى التدخل، مخاطباً مارثا بهدوء:

- أظن انه يتعين علي اعلامك بأني اقنعت سارة بالزواج مني. أو على الأقل، اقنعتها بتقبل الفكرة. انتم الثلاثة لا تحتاجون الى شخص آخر لاكمال سعادتكم، في حين... احتاج أنا الى لسان سارة اللاذع كي التزم النظام.

قالت سارة بهزء بارد:

- يا له من عرض رومانسي! أفهمت روجر اني لا اعتزم الزواج من أحد ما دمت تحتاجينني يا مارثا. لكن يبدو انك لا تودين الارتباط بي.

- سارة، اني احب دايون. أليس من الأفضل ان نجمع شملنا كعائلة

من ان نعيش حياة انفصال؟

اعلنت سارة باحتقار:

- ان كنت تطيقين العيش مع رجل كان غبياً الى حد حمله على هجرك، فأظن ان الجواب هو نعم!

احمر وجه روجر غضباً وانفجر هاتفاً بعنف:

- بحق السماء يا سارة! لم اشأ ان أقول هذا لكني سأقوله الآن. لو لم تتدخلي في حياتها لما كان دايون اتهم مارثا بخيانته!

خيم عليهم صمت واجم، لم يقطعه سوى سؤال جوزي الهامس عما يجري حولها. تحرك اليكس بسرعة فامسك بيد جوزي واقترح عليها ان تلبس المايوه كي يعلمها لعبة جديدة في السباحة.

ترددت جوزي، ثم سمحت لها مارثا بالذهاب وهي تشعر بحيرة مضعضعة. لم تفهم شيئاً مما قيل وتمنت لو ان احداً منهم يتبرع بالتفسير.

حدق روجر في دايون مناشداً اياه التفهم، ولما ظل الآخر صامتاً، قال بارتباك:

- يجب ان نخبر مارثا يا دايون، انها الطريقة الوحيدة.

استدارت الى زوجها وسألت بحيرة وتوسل:

- تخبرونني ماذا؟ الأمر يتعلق بما ذكرته والدتك، أليس كذلك؟ أوه، دايون، اخبرني! لا تدع روجر يفعل ذلك عنك.

قالت سارة باختناق وهي تقلص يديها على مقعدها:

- أنا سأخبرك، مع ان دايون جعلني أقسم على الكتمان عندما جاء الى البيت قبل شهرين.

- جعلك تقسمين على الكتمان؟

تنهد دايون وأعلن بصوت مثقل:

- لم اجد داعياً لايذائك اكثر مما تأذيت، لكن اذا ارادت سارة ان تخبرك، فلا استطيع منعها.

- يا لنبلك العظيم!

قالت بحقد لكن روجر ضغط على كتفها، فتابعت تخاطب مارثا:

- في أي حال، خير لك ان تعرفي... لم أردك ابداً ان تتزوجيه. لكنك

كنت تعرفين موقفي هذا.

اجابتها مارثا مقطبة:

- نعم، لم توافقي، لكن ما دخل ذلك بما نحن فيه؟

هزت سارة كتفيها ثم قررت ان تلجأ الى الصدق، فقالت:

- لقد كرهتك يا مارثا. كرهتك لأنك كنت تخدعينني وتترددين الى دايون من وراء ظهري...

احتجت مارثا برعب:

- لم يكن الأمر كذلك...

لكن سارة تابعت تقول:

- وازداد كرهي لك عندما أغويته على الزواج منك!

- هذا غير صحيح!

شعرت مارثا بالغثيان، وعندما ضغط دايون على كتفها بقوة، ادركت ان الاتهام كان مجرد انهمار وهمي يخرج من ذهن اختها الغيور... كما قال لها دايون مراراً. اردفت سارة بتجهم:

- ثم تزوجته. ظننت لفترة انه لم يعد بامكاني ان افعل شيئاً. لكن دايون بدأ ينغمس في اعمال الشركة، وبدأت تشكين الضجر...

- لم اكن ضجرة!

- حسناً، بدأت تقلقين وتغارين من الوقت الذي يصرفه بعيداً عنك. كنت تتلهفين الى فعل أي شيء كي تجعليه يحس بوجودك. كان الأمر سهلاً بالنسبة الي، حيث شجعتك على المجيء الى لندن. كان روجر موجوداً، فاقنعت دايون بسهولة انك اتيت لتريه.

سألتها مارثا بذهول:

- لكن كيف استطعت ان تقنعي دايون بأمر كهذا؟

شتم دايون ثم زوّدها بالجواب المطلوب:

- بواسطة الرسائل. مارثا، أهناك حاجة للاستمرار؟ اعتقد ان الوضع قد توضح كفاية. كنت غبياً... لا جدال في هذا. لكنني أؤكد لك اني تعلمت درسي جيداً.

قالت مارثا محتجة بوهن:

- ماذا قالت لك في رسائلها؟ ان روجر كان صديقها وليس صديقي.

- الآن عرفت ذلك. حبيبتي، اننا مدينان لروجر بأفضال كثيرة، فعندما علم بأن سارة كتبت الي، ابتدع هذه الخطة كي يجعلك تتصلين بي. لقد حدس بأن والدي سيريني رسالتك، وكان مصيباً.

هتفت مارثا تستوضح روجر:

- كيف عرفت ان سارة كتبت الى دايون؟ انها لم تخبرك بالتأكيد.

هز رأسه قائلاً:

- حين عدنا من جزر سكيللي في الصيف الماضي، ساعدت سارة على توضيب ثيابها، ووقتها، وجدت بعض الأوراق في اسفل الخزانة...

أعلنت سارة باستنكار:

- وتجرأ على قراءتها!

قال روجر بثبات:

- ظننتها تخصني، فمارثا كانت تدوّن ملاحظاتي وحسبت انها وضعتها خطأ مع اغراضك.

هتفت مارثا بعتاب شديد:

- أواه يا سارة! كان من الجائز ان اجدها بنفسي!

علق روجر متنهداً:

- أغلب الظن انها املت بأن تجديها. المهم الآن، انك اطلعت على الحقيقة.

قالت مارثا وهي ترمق زوجها بتوسل:

- أوه، دايون، لا أدري ماذا أقول لك.

- لا تقولي شيئاً، فجميعنا يخطىء، كما قلت سابقاً.

- لكن عندما اكتشفت ذلك، كان عليك ان تخبرني!

- لم اشأ ان تعرفي القصة مني. فأنا وسارة، لم يكتب لنا ان نكون صديقين، لذلك لم يسعني ان احطم ثقتك بها، لقد أملت بأن لا اضطر يوماً الى ذلك.

قالت سارة بحدة وحقد:

- لا تتكرم علي باحسانك يا دايون! انا لا احتاج منك شيئاً.

هتف روجر محذراً ثم قال ملتفتاً الى دايون:

ـ كنا سنغادر في الواقع، لكننا انتظرنا عودتكما لنودعكما. ان سارة لم تنسجم مع جيل وأنا انتهيت من التنقيب في الجزيرة. سننتقل الى سانتوريني وآمل ان التقي بزملائي في اكروتيري. اني اشكرك على هذه الفرصة التي اتحتها لي.

عندما انفردا في غرفتهما لاحقاً، لم تستطع مارثا ان تجد مبرراً لتصرفات سارة تجاه دايون، فهو لم يفعل شيئاً ليستحق منها كل تلك الكراهية، وتمنت لو تجد وسيلة ما لتعوض بها معاناته السابقة. جلست أمام المرآة تتأمل صورتها بتعاسة، وقالت له:

ـ لا أفهم لماذا لم أشك في أي شيء. لم أحلم طيلة هذه السنوات بامكانية تورطها.

وقف وراءها وأجابها بلطف:

ـ لم يكن ثمة موجب لارتيابك، لان سارة كانت تناصرك طيلة الوقت. لقد تعاطفت معك وبذلت كل جهدها لتحملك على الاعتقاد بانها لا تبغي سوى مصلحتك.

ـ كلا، كان يجب ان اتذكر كيف تصرفت بسلبية عندما اعلمتها بأننا سنتزوج. لكنني ظننت انها تغلبت آنذاك على صدمتها. اخبرني عن الرسائل، كيف صدقت كلامها برغم معرفتك بعواطفها تجاهك!

ـ اعتقد انها استغلت ضعفنا تجاه بعضنا. كانت ذكية، الآن اتضح لي ذلك.

ـ متى بدأت تراسلك؟ متى بدأت انت ترتاب في؟

تردد قليلاً ثم قال مقطباً:

ـ حسناً، ان كنت تصرين على سماع القصة بكاملها... أظن اني تلقيت أول رسالة، قبل سنة من انفصالنا.

ـ قبل سنة!

ـ اتريدين حقاً ان تسمعي سائر التفاصيل؟ لقد انتهى الآن كل شيء.

ـ أجل، اريد أن أعرف. يجب ان أعرف. اكمل، أرجوك. اعتذر عن مقاطعتك.

ـ بعد احدى زياراتك للندن، كتبت سارة تقول انك كنت تلتقين روجر هناك، وانها كانت قلقة بطبيعة الحال. شرحت انها وروجر، كانا يفكران في الخطوبة وانك كنت تحاولين فسخ ذلك الاتفاق.

ـ كلا!

انفرجت شفتاها بخيبة فاحاطها بذراعيه وهتف:

ـ مارثا! لا جدوى هناك من تعذيب نفسك على هذا النحو. أليس من الأفضل ان اتوقف؟

ـ ليتك اخبرتني من قبل! اكمل، ماذا حدث عندئذ؟

ـ حسناً، حاولت، اذ ذاك، ان امنعك من تكرار زياراتك للندن.

غمغمت مارثا بتعجب:

ـ وكنت احسب انك تفعل ذلك بدافع الغيرة!

ـ أوه، كنت غيوراً جداً، وازدادت غيرتي عندما أصررت على تجاهل طلباتي.

ـ ان سارة تعرفني جيداً، لذلك ادركت اني سأتمرد عليك اذا ما حاولت ان تمنعني عن فعل شيء ما.

ـ حسناً، لا حاجة لاطالة الشرح. تلقيت مزيداً من تلك الرسائل، وبعد فترة من الزمن، لم يسعني الا أن أصدق ما كان يحصل خصوصاً انك كنت تبدين لهفة شديدة لزيارة سارة.

ـ سارة شجعتني، قالت انها اصبحت وحيدة بعد زواجي.

ـ كان لديها سكوت. لكن الغيرة اعمتني عن رؤية الحقيقة.

ـ وهكذا... عندما ولدت جوزي بشعر احمر...

ـ حدثت المصيبة!

ـ لكن... شعر سارة احمر ايضاً!

قال دايون متنهداً:

ـ أجل، لكني لم أكن أفكر بعقلي بل بعواطفي.

ـ هل اخبرتك سارة ان روجر هو والد الطفلة؟

ـ كلا، لم تقع في هذه الغلطة، لكنها المحت في احدى رسائلها الى انك ستحرجين جداً اذا ولد الطفل بشعر احمر.

- أوه، يا الهي!

دفنت وجهها بين كفيها وشعرت بيديه تتحركان على ظهرها. قال برقة:

- اذن، فهمت لماذا انعدمت المحبة بيني وبين سارة. لقد ادركت اني متى رأيت جوزي مرة ثانية، فسوف تعجز عن الاستمرار في خداعي، في هذا المجال على الأقل.

- وزعمها الأخر؟ عن... علاقتي بروجر؟

- ان تأكدي من أبوتي لجوزي ألقى على الوضع ضوءاً جديداً. وعندما تعرفت على روجر، حزرت انه لا يحبك انت.

- ... دايون!

- ما اغرب تصرفات القدر فلو ان سارة لم تصب بالشلل لما انتقلتما الى منزل روجر. أليس كذلك؟

- ربما لا، مع اننا احتجنا الى مكان اوسع، من أجل الطفلة.

- طفلتنا.

غمغمت مارثا بتأثر:

- ابنتنا. لا أدري كيف سأنسيك الماضي يا حبيبي.

- يكفي انك كنت مستعدة لتقبلي وانت تجهلين حقيقة الوضع. اما وقد توضحت الأمور بيننا، فيمكننا البدء من جديد...